الصهيونية

والعنصرية

الصهيونية والعنصرية

المحتويات

مقـدمه

حينما صوتت الغالبية العظمى من دول العالم ـ فى الجمعية العامة للامم المتحدة فى نوفمبر ١٩٧٥ ، لصالح القرار الذى يقضى باعتبار الصهيونية حركة عنصرية ، ثارت ثائرة اسرائيل ، واعلنت عن رفضها وشجبها لهذا القرار الذى اعتبرته عدوانا عليها ، ولا يستحق منها الا التحقير والازدراء .

وبذلك حققت الصهيونية ، ما سبق أن أعلنه مفكرون يهود لهم فكرهم ومؤلفاتهم ، من أن الصهيونية بصورتها القائمة على العنصرية ، وادعاء تفوق الجنس اليهودى على ماعداه من أجناس وشعوب الارض ، انما تمثل خطرا ـ ليس على العرب فحسب ـ بل على غالبية اليهود أنفسهم الذين يتحملون تبعـات التصرفات المتزمتة لطائفة من الزعماء الصهيونيين المتعصبين ، اولئك الزعماء الذين يصفهم الكاتب اليهودى « موشيه مينوحيم » بأنهم انمـا يمثلون مجموعة محترفة متعصبة ، تمسك بزمام الحل والعقـد فى العالم اليهودى ، تمتص دماءهم ، وتهدد بالعقاب كل من يجرؤ على التصدى للعصبية اليهودية ، او يعارض تاليه هذه المجموعة لدولة اسرائيل ، باعتبارها الدولة الرسمية للشعب اليهودى .

ان ذلك ليذكرنا بما عبر عنه المفكر اليهودي ، الدكتـــور « فرانتز شايدل » بقوله :

«ان الصهيونيين قد شيدوا دولة اسرائيل على دماء العـرب مالكى الارض الشرعيين ودموعهم ، وسلبوا العرب ـ اصحاب الحق الاصليين ـ اراضيهم واملاكهم وحقوقهم فطردوهم واستأصلوا البقية الباقية منهم ، بينما ترفض اسرائيل مساواة الذين بقوا

منهم فى بلادهم فى الحقوق ، فتعاملهم فى وطنهم الاصلى على أنهم مواطنين من الدرجة الثالثة ، وليس هناك حد لوصف مايشعر به العرب الذين تعرضوا لكل هـــذه المظالم والسلب والتشريد من بؤس ومرارة .. ان قلب كل عربى لبتأجج اليوم بالرغبة الجامحة فى محو هذا الظلم واعادة الحق والعدل والسلام الى فلسطين ، ومن أجل ذلك .. فان دولة اسرائيل ــ بصورتهــا العنصرية الحالية ــ تمثل تهديدا دائما للسلام العالمى » .

كذلك يعبر المفكر اليهودى ، الدكتور « ليونل كرين » عن تعصب الصهيونية وعدم تقبلها لاى توجيه او نقد حين يكتب :

« ان الصهيونية لا تقبل اى نقد ، فمن ذا الذى يجرؤ اليوم على أن ينحى باللائمة على اليهود ؟ ان من يتجرأ على ذلك تمسك به انياب الصهيونية لتمزقه وتشوه صورته ، فان اليهود بنظرهم، لا يناقشون ، ان هذا أمر محرم ! »

اننا على الصفحات التالية ــ نحاول ان نعرض لبعض الحقائق فى كلمة هادئة وموضوعية الى اولئك الذين يقيمون الدنيا ضجيجا واحتجاجا على قرار ادانة الصهيونية باعتبارها حركة عنصرية ، وندعوهم فى ذات الوقت الى التفكير فى تجرد ونزاهة ، فى ابعاد المشكلة برمتها ، حتى يتبينوا أنه على امتداد التاريخ الانســانى بأسره عاش اليهود بين العرب كمواطنين ، لم يتعرضوا خلالها لاية صورة من صور الاضطهاد او التفرقة بسبب الدين او الجنس ، وانه لمن الظلم الفادح أن يدفع العرب ــ دون سواهم ــ ثمن الاضطهاد الذى واجهه اليهود فى بعض انحاء العالم غير العربى ، لان العرب لم يكونوا بالتأكيد هم السبب فى هذا الظلم أو الاضطهاد باية صورة . ان ما نأمله ــ كعرب ــ أن نرى فى المستقبل ــ احفاد الصهيونيين المتعصبين ، وقد تخلصوا من تلك النظرة العنصرية الضيقة ، والتى لا يمكن تحقيقها الا على حساب شعوب اخرى ..

الباب الاول

الصهيونية

يعتقد الكثيرون ان الصهيونية انما هى حركة دينية مرتبطة بما ورد من وعود الرب للخليل ابراهيم عليه السلام ، الا ان الواقع يؤكد بما لا يدع مجالا للشك فى أن الصهيونية ليست بالحركة القديمة فى بنى اسرائيل أنفسهم ، ولكنها حركة عنصرية سياسية بحتة ، وعلى ذلك ، فان جذور الصهيونية ـ بعكس المفهوم السائد ـ لا تمتد فى تاريخ اليهود وثقافتهم . ولكنها حركة حديثة العهد من نتاج العصر الحديث ..

وتسعى الحركة الصهيونية التى بدات تسير وفق مخطط مدروس منذ أواخر القرن التاسع عشر الى اعادة المجد المزعوم لبنى اسرائيل بكل الوسائل وبناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الاقصى والسيطرة على حكم أوسع رقعة ممكنة من الدول على يد ملك اليهود الذى هو المسيح المنتظر ..

تطور الحركة الصهيونية :

وقد كان الحاخام « ليفا » من براغ « ١٥٢٠ ـ ١٦٠٩ » هو أول يهودى أرثوذكسى فى تاريخ اليهود يقترح اعادة توطين اليهود بفلسطين ، كشرط أساسى لتجميعهم كشعب متكامل ..

وفى الاجيال اللاحقة ، حاول غيره من الحاخامات الارثوذكسيين اطلاق مثل هذه الدعوة .. الا أن الصهيونية لم تظهر الى حيز الوجود الا فى أوائل القرن التاسع عشر ، حين برزت حركة « عشاق صهيون

Choveve Zion التى اصبحت تحت زعامة ، ليوبنسكر « ١٨٢١ ــ ١٨٩١ » ، والتى استمدت نظريتها من فكرة « التحرر الذاتى » عن طريق الهجرة الى فلسطين ، وتأسيس المستعمرات الزراعية بها ، وقامت بعض الجماعات الصغيرة بالفعل بالتوجه الى فلسطين ، حيث انشأوا المستوطنات الصهيونية الاولى ، غير ان هذه الحركة ــ على الرغم من كونها ظلت محصورة فى نطاق ضيق للغاية ــ الا انها بعثت روحا من الفاعلية والحماس لدى بعض مفكرى اليهود فى شتى انحاء العالم لتكوين وطن قومى خاص بهم ، دون ان يحددوا فلسطين بالذات كمركز للتجمع اليهودى .

اطماع اقليمية :

ان الامر الذى ينبغى أن نوضحه هنا ــ وقبل التعرض لنشأة الحركة الصهيونية الحديثة فى اواخر القرن التاسع عشر ، هو أن الأطماع السياسية والاقليمية بالدرجة الأولى هى التى حركت يهود العالم وأسالت لعابهم ، وما كان الدين الا الستار الشرعى الذى حاولت ــ ولا تزال تحاول ــ الدوائر الصهيونية على الدوام أن تتخفى وراءه .

الحركة الصهيونية الحديثة :

ففى أواخر القرن التاسع عشر ، وضع الصحفى اليهودى النمسوى « تيودور هرتزل » كتابه « الدولة اليهودية » الـذى دعا فيه الى ضرورة قيام دولة يهودية تقوم على أساس الدين وحـده .

وبعد قليل لم يلبث ان دعا الى عقد اول مؤتمر ليهود العالم حضره نحو مائتى يهودى كممثلين عنهم فى مدينة «بال» بسويسرا عام ١٨٩٧ ، وذلك للبحث عن افضل الوسائل والسبل التى ينبغى

على يهود العالم اتباعها لاقامة مثل هذا الوطن القومى المنشود .
ويخرج «هرتزل» من هذا المؤتمر الصهيونى الاول ، ليدون فى مذكراته :

« لو طلب منى أن ألخص قرارات مؤتمر «بال» فى جملة ــ ولن أقولها بصوت عال ــ لقلت انه فى «بال» تأسست الدولة اليهودية .. ربما يسخر منى الجميع الان ــ ولكن بعد خمس سنوات وبالتأكيد بعد خمسين سنة ، سيعلم كل انسان بالامر ، وبالتدريج سوف أعمل على وضع الجميع فى جو مناسب للدولة اليهودية ، وأجعلهم يشعرون بأنهم هيئة وطنية » .

قرارات المؤتمر الصهيونى الاول :

لقد تبلورت قرارات هذا المؤتمر الصهيونى الاول فيما يلى :

١ ــ تشجيع استعمار فلسطين بواسطة عمال زراعيين وصناعيين من اليهود .

٢ ــ تنظيم يهود العالم وجمع شتاتهم بواسطة المؤسسات المحلية والدولية .

٣ ــ القيام بمساع لدى مختلف الحكومات للحصول على تأييدها لاهداف الحركة الصهيونية .

٤ ــ انشاء صندوق «كيرن كايمت» لشراء أراضى فلسطين من أصحابها العرب .

٥ ــ تكوين شركة «كيرن كايسود» لتمويل عمليات تهجير اليهود ــ بعد تدريبهم ــ الى فلسطين .

٦ ــ تأسيس شركة يهودية لادارة الاراضى الفلسطينية .

٧ ـ اعتبار اللغة العبرية الحديثة لغة التخاطب الرسمية للحركة الصهيونية .

لماذا فلسطين بالذات :

انه من المعروف ان (هرتزل) لم يطالب ـ فى بدء دعوته ـ بفلسطين بصفة خاصة ، حيث قام فى بادىء الامر باقتراح اقامه الوطن القومى لليهود فى الارجنتين أو قبرص ثم كندا أو اوغندا تلك الاماكن التى كانت جميعها ـ فى نظره ـ تمثل اماكن صالحة لاقامة الدولة اليهودية عليها ، لقد ظل لفترة طويلة يرحب بانشاء هذا الوطن اليهودى المنشود فى أى مكان ، حتى ولو كان فى شرق افريقيا .

الا أن الذى حدث هو ان الفكر الصهيونى قد تدرج بالنسبة لفلسطين ، من كونها احدى الاماكن الصالحة ثم أحسن الاماكن ، الى ان اصبحت ـ فى عهد خلفاء (هرتزل) ـ المكان الوحيد ، وعلى هذا الاساس اخذوا يرفضون اى مشروع اخر لا يسمح لهم باحتلال فلسطين .

وان ما يؤكد هذا القول ، تلك النظرة التى كان (تيودور هرتزل) ينظر بها الى فلسطين فى بادىء الامر ، حيث يكتب فى مذكراته :

« ان هناك بعض الامور التى ليست فى صالح اقامة وطننا القومى على ارض فلسطين ، مثل قربها من روسيا وأوروبا . الى جانب ضيق مجال التوسع فيها ، هذا بالاضافة الى طقسها الذى لم نعد معتادين عليه »

ثم يرسل (هرتزل) خطابه الى البارون (روتشيلد) الذى يقول فيه :

« حالما تتألف الجمعية اليهودية ، سندعو الى مؤتمر يمثل عددا من الجغرافيين اليهود ، ليقرروا مكان الوطن القومى اليهودى ، لانه بمساعدة هؤلاء العلماء الذين يخلصون لنا بحكم يهوديتهم ، سيتم تقرير المكان الذى سنهاجر اليه ، انى سأخبرك بكل شىء عن (ارض الميعاد) الا عن مكانها ، فهذه مسألة علمية صرفة ، لاننا يجب ان نأخذ بعين الاعتبار العوامل الجيولوجية والطقس وغير ذلك من العوامل الطبيعية التى توصل اليها احدث البحوث ، وسنأخذ الارجنتين كمثال : لقد فكرت فى فلسطين اولا ، التى لها ميزة انها كانت مركز شعبنا واجدادنا ، ولكن معظم اليهود الان لم يبقوا شرقيين ، وقد تعودوا على العيش فى مناطق تختلف كل الاختلاف ، كذلك ، فانه من الصعب جدا انجاز خطتى فى النقل الى **هناك ».**

ان التركيز الذى تم بعد ذلك على احتلال فلسطين دون غيرها من دول العالم ، انما مرجعه زعماء الصهيونية الحديثة الى بعض الأسانيد والحجج الدينية التى يرتكزون فى دعواهم عليها . فهم يزعمون انهم اصحاب حق فى فلسطين باعتبارها الارض التى وعدهم الله بها ، حيث جاء فى التوراة ان الرب قد وعد ابراهيم وذريته من بعده وعدا جاء فيه : **« لنسلك أعطى هذه الأرض . . من نهر مصر . . الى النهر الكبير . . نهر الفرات »** — اصحاح ١٥ سفر التثنية .

واننا اذا سلمنا بصحة هذا الوعد — باعتبار التوراة كتابا مقدسا من عند الله — فاننا نلاحظ الاتى :

اولا : أن هذا الوعد الالهى ليس موجها الىاليهود (بنى اسرائيل) وحدهم ، وانما هو وعد من الرب الى ابراهيم وذريته من بعده — حسب نص الاصحاح سالف الذكر — يتساوى فى ذلك اسرائيل (يعقوب) وذريته ، واسماعيل جد العرب

– وذريته ايضا ، أى ان الوعد الالهى هو لسلالة ابراهيم على الاطلاق بما فيهم اليهود والمسلمين والمسيحيين كذلك، حيث أن الانبياء الثلاثة : موسى وعيسى ومحمد « عليهم السلام ، هم جميعا من نسل ابراهيم » .

ثانيا : ان هذا الوعد الالهى قد تحقق فعلا – بالنسبة لبنى اسرائيل – فى عهد موسى عليه السلام ، حين اصطحب معه اليهود من مصر الى سيناء ثم فلسطين ، حيث اقاموا ما أسموه بدولة قائمة على اسس دينية صرفة ، وبذلك فان وعد الله قد تحقق – بالنسبة لبنى اسرائيل – على يد موسى ، وكان ذلك فى صورة دولة دينية ، فلما انصرف اليهود عن تنفيذ وصايا وتعاليم الرب ، وفسدوا وضلوا ، تخلى الله عنهم وتركهم لبطش القوى الخارجية ، وأزال عنهم ما وهبه لهم من قبل .

ثالثا : كما يمكن القول كذلك ، ان هذا الوعد الالهى لبنى اسرائيل ، قد تحقق ايضا فى عصر اخر وهو عهد الملكين « داود وسليمان » ، وهما من ملوك وأنبياء بنى اسرائيل اللذين حكما فلسطين نحو ٧٣ عاما (من عام ١٠٠٠ – ٩٢٧ قبل الميلاد).

حكم اليهود فلسطين ٧٣ عاما عبر التاريخ :

وانتا اذا انتقلنا الى ما يزعمه اليهود الان من الحقوق التاريخية التى يزعمون انها تخول لهم الحق فى العودة الى فلسطين وحكمها من جديد ، لوجدنا ان اليهود قد دخلوها فى عهد (يوشع بن نون) – خليفة موسى – واقاموا وسط الكنعانيين

كأفراد عاديين ، وظلوا على هذا النحو حتى اقام (داود) مملكته عام ١٠٠٠ ق.م ــ وكان هذا بمثابة اول حكم يهودى لفلسطين استمر اربعين عاما ، ثم خلفه ابنه « سليمان » الذى حكم البلاد ٣٣ عاما اخرى ــ حتى عام ٩٢٧ ق.م ــ كما سلف القول ، تم انقسمت البلاد بعد وفاته على نفسها مشكلة مملكتين . مملكة اسرائيل الشمالية ومملكة يهوذا الجنوبية ، ثم ما لبثت الكوارث ان حلت باليهود فيهما .

ففى عام ٧٢١ ق.م احتل الاشوريين مملكتى يهوذا واسرائيل معا ، ثم قاموا عام ٧٠١ بالهجوم عليهما وجر معظم سكانهما اسرى الى العراق .

وفى عام ٥٩٧ ق.م زحف (نبوخذ نصر) الكلدانى على فلسطين ليحتلها ، ويعود الى « بابل » ومعه عشرة الاف اسير من اليهود .

وفى عام ٥٨٦ ق.م عند ما حاول بقايا اليهود فى مملكة يهوذا الجنوبية التمرد على سلطان بابل ، عاد (نبوخذ نصر) واستولى على « أورشليم » وحرقها وهدم هيكل سليمان ، وأخذ معه ٥٠ الفا من اليهود اسرى الى « بابل » فى العراق .

وفى عهد (كورش) ــ ابيح لليهود العودة الى اورشليم كما اذن لهم « دار الاول » ــ ملك الفرس ــ باعادة بناء الهيكل ، وظلت فلسطين تحت حكم الفرس ، حتى غزاها (الاسكندر الاكبر) ثم احتلها الرومان .

وفى عهد الرومان ــ عام ٧٠ ميلادية ــ حاول اليهود من جديد استغلال المركز الدينى الممنوح لهم فى القدس ، فقام القائد

الرومانى « تيطس » بمهاجمتهم واحتل القدس من جديد ليدمرها ويهدم الهيكل ويقتل معظم سكانها .

وبذلك ـ ومنذ عام ٧٠ ميلادية ـ انتهت كل صلة لليهود بفلسطين حتى عام ١٨٩٧ ميلادية ـ بعد نحو الفى عام ـ حين قام (تيودور هرتزل) ـ يدعو الى انشاء الوطن القومى لليهودى على ارض فلسطين .

اننا لو اخذنا فى الاعتبار ـ الدوافع التاريخية ، التى يتذرع بها اليهود لاثبات أحقيتهم فى فلسطين ، فينبغى علينا لتوضيح الحق العربى الثابت فيها الى ايراد الجدول التالى :

بيان تاريخي بحكام فلسطين منذ بدء التاريخ حتـى عام ١٩٧٥

حكام فلسطين	تاريخ حكمهم من	تاريخ حكمهم الى	مدة الحكم بالسنوات
الكنعانيون	—	—	غير معروفة لقدمها
المصريون	—	—	— — —
الهكسوس	١٧١٠ ق ٠ م	١٤٨٠	٢٣٠
المصريون	١٤٨٠	١٣٥٠	١٣٠
الحيثيون	١٣٥٠	١٢٩٠	٦٠
المصريون	١٢٩٠	١١٥٤	١٣٦
حكام محليون	١١٥٤	١٠٠٠	١٥٤
اليهود (داود وسليمان)	١٠٠٠	٩٢٧	٧٣
اسرائيل الشمالية	٩٢٧	٧٢٢	١٠٥
يهوذا الجنوبية	٩٢٧	٥٨٦	٣٤١
بابـــل	٥٨٦	٥٣٨	٤٨
فارس	٥٣٨	٣٣٠	٢٠٨
اليـــونان	٣٣٠	٣٢٣	٧
المصريون	٣٢٣	٢٠٠	١٢٣
السلوقيون	٢٠٠	١٤٢٠	٥٨
اليهود (جزئيا)	١٤٢	٧٠	٧٢
أرمينيـــا	٧٠	٦٣	٧
رومـــا	٦٣	٦١٤ ب	٦٧٧
فـــارس	٦١٤ ب ٠ م	٦٢٨	١٤
رومـــا	٦٢٨	٦٣٨	١٠
العـــرب	٦٣٨	١٠٨٥	٤٤٧
الاتراك (مسلمون)	١٠٨٥	١٠٩٩	١٤
الصليبيون « جزئيا »	١٠٩٩	١٢٩١	١٩٢
سلاجقة وعرب	١٠٩٩	١٢٩١	١٩٢
المصريون	١٢٩١	١٥١٧	٢٢٦
الاتراك (عرب)	١٥١٧	١٩١٨	٤١٠
بريطانيا «فترة الانتداب»	١٩٢٣	١٩٤٨	٢٥
اليهود (اسرائيل)	١٩٤٨	١٩٧٥	٢٧

ملاحظة :

لفظ (جزئيا) الوارد فى هذا الجدول يعنى حكم جزء فقط من فلسطين ، كما يظهر ذلك من فترة حكم الصليبيين ، فاننا نلاحظ انهم حكموا فلسطين جزئيا من عام ١٠٩١ الى عام ١٢٩١ ب م ، بينما ان السلاجقة والعرب قد حكموا البلاد — فى قسم منها — فى نفس المدة ، وهذا يعنى ان كل فريق كان يحكم قسما من البلاد فى ذات الوقت .

العرب حكموا فلسطين ١٣٠٠ عام متصلة :

ومن هذا الجدول التاريخى ، يمكن أن نخلص الى ان المصريين القدماء قد حكموا فلسطين لمدد تبلغ فى مجموعها نحو ٦١٥ عاما — هذا فى التاريخ المدون المعروف فحسب — بخلاف المدد غير المدونة تاريخيا ، بينما لم يدم حكم اليهود لفلسطين سوى ٧٣ عاما فقط تمثل عمر مملكتى داود وسليمان ، وبعد ذلك لم تتمتع كل من الدولتين اليهوديتين اللتين انقسمتا عن ملك داود وسليمان (اسرائيل الشمالية ويهوذا الجنوبية) **بالاستقلال الحقيقى فى اى وقت ، اذ كانت كل منهما تدفع** الجزية الى احدى الدول الكبرى الغازية .

أما الرومان ، فقد دام احتلالهم لفلسطين نحو ٦٧٧ سنة (من ٦٣ ق.م — ٦١٤ ب م) بينما حكم العرب فلسطين لمدة ٤٤٧ سنة من عام ٦٣٨ — ١٠٨٥ ب.م بالاضافة الى مدة حكمهم الطويلة والتى بدأت منذ الفتح الاسلامى لفلسطين ، بذلك تبلغ مجموع مدد حكمهم للبلاد ١٣٠٠ سنة كاملة .

وعلى اساس هذه الحقائق التاريخية ، نرى انه ليست لاسرائيل اليوم ذرة من الحقوق فى فلسطين ، الامر الذى يجعل دعواها تدعو الى السخرية كدعوى (موسولينى) منذ نحو

اربعين عاما ، حين قام يطالب باستـــرداد امبراطورية رومـــا الاستعمارية القديمة .. وهكذا نرى ايضا ان اليهود لم يدخلوا فلسطين « فى عهد يوشع بن نون » الا فى حقبة متاخرة من الزمن ولم يحكموا البلاد الا لفترة قصيرة للغاية ، كما انهم ـ حتى فى ذروة قوتهم ـ لم يحكموا سوى اقسام فقط من فلسطين حيث تميزوا بالتعصب الشديد واستعداء الشعوب الاخرى التى كانت تكافحهم على الدوام .

ان الكاتب (هـ . ج . ويلز) يلخص رايه فى هـذه القضية بشأن تاريخ اليهود فى فلسطين فى تلك الحقبة القديمة قائلا :

« كانت حياة العبرانيين (اليهود) فى فلسطين تشبه حالة رجل يصر على الاقامة وسط طريق مزدحم ، فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار .. ومن البداية حتى النهاية لم تكـــن مملكتهم سوى حادث طارىء فى تاريخ فلسطين ، بالنسبة لتاريخ المصريين والسوريين والاشوريين والفينيقيين فيها ، ذلـــك التاريخ الذى هو اكبر واعظم واشمل من تاريخهم » .

الصهيونية حركة سياسية توسعية

ان استخدام لفظ الصهيونية Zionism بمدلولها السياسى الحديث يرجع الى ما قبل ثلاثة ارباع القرن حينما استعملها لاول مرة الصحافى اليهودى النمسوى الاصل (ناثان بيرنباوم) ١٨٦٣ – ١٩٣٧ «١»

والصهيونية كفكرة ، تنطوى فى جوهرها على دعوة العودة الى صهيون « جبل يقع الى الشرق من القدس » – اى مناشدة اليهود فى جميع انحاء العالم العودة الى « ارض اسرائيل » بحدودها التى ورد ذكراها فى التوراة ، بينما نجد الصهيونية بمفهومها السياسى وطابعها اليهودى انما تعني حركة سياسة عالمية منظمة تستند على مفاهيم شتى ، انطلاقا من المفاهيم الدينية الى المزاعم التاريخية والنوايا الاستعمارية الاستيطانية التوسعية .

لقد نشأت تلك الحركة فى أوروبا ابان عصر القوميات الاوروبية فى القرن التاسع عشر وتأثرت الى حد بعيد بجو عصر القوميات الذى ساد اوروبا حينذاك ، فجاءت الصهيونية وليدة العقد الاخير من القرن الماضى ، عندما بلغ المد الاوروبى فى العالم ذروته ، واتسم على العموم بطابع التسابق من اجل الحصول على مناطق النفوذ فى كل من افريقيا واسيا بصفة خاصة .

---

(١) فى كتابه الذى اصدره بالالمانية عام ١٨٩٣ بعنوان (الاحياء القومى للشعب اليهودى فى وطنه كحل للمشكلة اليهودية) .

ولا شك ان الحركة الصهيونية السياسية الحديثة فى اعتناقها الفكرة القومية اليهودية المستحدثة انما تختلف عن جميـــع القوميات التى شهدها القرن التاسع عشر ، رغم انها جــاءت مقلدة لتلك القوميات من حيث الاسس التى قامت عليها والتـى لم تكن متوفرة على الاطلاق لدى يهود العالم .

فالمعروف ان معظم القوميات الاوروبية والبلقانية منها على وجه الخصوص بنت كفاحها السياسى من اجل نيل السيـــادة والاستقلال ـ على اسس وطيدة وقائمة بالفعل ـ حيث توفرت لديها الشروط المسبقة او المقومات الكيانية قبل الاقدام عـلى المطالبة بتحقيق السيادة السياسية والدولة القومية القائمة بذاتها ، اذ عاشت تلك الشعوب المتطلعة الى السيادة القوميـــة فى رقعة من الارض معينة « الوطن القومى » بالفعـل عبر حقب التطور التاريخى ، وتكلمت لغة موحدة ، بالاضافة الى غير ذلك من العوامل المشتركة بينها والتى عملت على صهرها فى بوتقـــة الهوية القومية المميزة ، بينما تبدو دعوة القومية اليهودية اشبه ما تكون بالبدعة التى تحاول السير فى خطى القوميات الاوروبية دون أن تتوفر لهـا المقومات الاساسـية اللازمة ، فاليهود المنتشرون فى جميع انحاء العالم ينتمون الى طائفة دينية معينة ، والى قوميات متعددة وجنسيات متنوعة .. واليهودية هنا فى جوهرها لا تعدو كونها ديانة عالمية تربطها بفلسطين ، كما ترتبط بها غيرها من الديانات السماوية ، صلات المنشأ والاصل ، لكنهـا ليست محصورة بالضرورة فى فلسطين .

ان المتتبع لخطوات الحركة الصهيونية الحـــديثة على صعيدى العقيــدة والتخطيط سوف يعــرف ما تنطوى عليه دعوة القومية اليهودية ـ التى حملت لواءها حركة الصهيونية العالمية من المغالطات والافتراءات على الواقع والتاريخ ، وما لجأت اليه

من الاستعارات والاساليب كى تؤهل نفسها للمطالبة بفلسطين وطنا قوميا للشعب اليهودى ـ بعد مضى ما يقرب من الفى عام على خروج اليهود القدامى منها ـ سواء كان ذلك عن طريق الهجرات المتتالية ، او السبى البابلى الذى انتهى الى عودة استفاد منها بعض اليهود ، بينما فضل البعض الاخر البقاء حيث هو دون أن يؤدى بقاؤه خارج فلسطين الى بطلان يهوديته ، أو عقب اقدام الرومان ـ فى النصف الثانى من القرن الاول بعد الميلاد ـ على سحق التمرد اليهودى فى فلسطين ، ليغادرها الكثيرون منهم الى اماكن اخرى استوطنوها ، وغنى عن القول انه لا علاقة تاريخية بين العبرانيين القدامى وبين الجماعات اليهودية الاخرى الموزعة فى كثير من انحاء العالم اليوم وامس وغدا ، حيث لا يكفى اعتناق الديانة اليهودية لجعل اليهود امة وجعل اليهودية قومية مميزة لها مقومات الامم الاخرى ومميزاتها .

علاقة الصهيونية بالاستعمار

وانه لما يثبت السياسة الاستعمارية التوسعية للحركة الصهيونية الحديثة التى نادى بها (تيودور هرتزل) وسار على مبادئها من جاءوا بعده من زعماء اليهود ، ما تم من تلاقى الاهداف بينها وبين مصالح الاستعمار العالمى فى ذلك الحين — ففى عام ١٩٠٤ كانت بريطانيا تمثل اقوى الامبراطوريات الاستعمارية فى العالم .. وقد رأت بريطانيا حينذاك انه من الضرورى ايجاد جبهة استعمارية واحدة لتنسيق مصالح الاستعمار المتضاربة ولقطع خط الرجعة على اية حركة تحاول استغلال التنافس الاستعمارى بهدف القضاء عليه وتعريض كيانه للخطر ، وبذلك تم اتفاق الدول الاستعمارية (١) على تأليف لجنة من خبرائها تتولى دراسة تاريخ الامبراطوريات التى عبروا عنها (٢) « بأنها تتكون وتتسع وتقوى وتستقر الى حد ما ، ثم تنحل رويدا لتزول والتاريخ حافل بمثل هذه التطورات ، وهو أمر لا يتغير بالنسبة لكل نهضة ولكل أمة ، فهناك امبراطوريات روما وأثينا والهند والصين وقبلها بابل واشور والفراعنة الخ ، التى مرت بتلك الاطوار » .

« والمطلوب هو البحث عن الاسباب او الوسائل التى يمكن ان تحول دون السقوط او الانهيار او تؤخر مصير الاستعمار

---

(١) وهى بريطانيا — فرنسا — بلجيكا — هولندا — البرتغال — اسبانيا — ايطاليا .

(٢) من توجيهات (كامبل بنزمان) الكتابية الى اعضاء اللجنة المذكورة .

الاوروبى الذى كان قد بلغ الذروة فى تلك الآونة واصبحت أوروبا قارة قديمة استنفدت مواردها وشاخت معالمها ، بينما العالم الاخر (المستعمر) لا يزال فى شبابه يتطلع الى مزيد من العلم والرفاهية » .

وكانت ختام توجيهات رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك الوقت: المستر كامبل بنزمان الى أعضاء اللجنة ، هذه الكلمات : (هذه مهمتكم ايها السادة ، وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا).

وظلت اللجنة المشار اليها تدرس وتطوف فى مختلف الدول الآسيوية والافريقية لتخرج من دراستها بخطة للمستقبل احتواها تقرير مفصل رفع عام ١٩٠٧ الى وزارة الخارجية البريطانية التى قدمته بدورها الى وزارة المستعمرات ، لقد بدأ هذا التقرير بالتأكيد على اهمية السيطرة على البحر المتوسط لانه الشريان الرئيسى الحيوى للاستعمار ، باعتباره يمثل الجسر بين الشرق والغرب وملتقى طرق المواصلات فى العالم القديم ، وان من يسيطر على شواطئه الجنوبية والشرقية يمكنه التحكم فى العالم ، وعلى سواحله الشرقية والجنوبية يقيم شعب واحد تتوافر له من وحدة التاريخ واللغة والامال والمصالح كل مقومات التجمع والترابط كما أنه اذا تكاملت لهذا الشعب كل هذه المقومات ، علاوة على ثرواته الطبيعية ونزعة اهله الى التحرر ، فانه ستحل الضربة القاضية حتما بالمصالح الاستعمارية ، ثم ناشد التقرير الدول ذات المصالح المشتركة ان تعمل على استمرار المحافظة على وضع هذه المنطقة (منطقة الامة العربية) المجزأة متأخرة ، وعلى ابقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وجهل ، وضرورة محاربة اتحاد هذه الجماعات أو ارتباطها بأى نوع من انواع التلاقى الفكرى او الروحى او التاريخى ، وكأجراء سريع لدرء الخطر أوصى التقرير بضرورة العمل على فصل القسم الافريقى

من هذه المنطقة عن قسمها الاسيوى ، واقترح لذلك اقامة حاجز بشرى قوى وغريب فى منطقة الجسر البرى الذى يربط آسـيا بافريقيا (فلسطين) بحيث يشكل هذا الحاجز الجديد على مقربة من قناة السويس ، قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكـان المنطقة .

وهكذا تلتقى المصالح والاهداف ، بريطانيا تقوم بتقديـم العون لتلبية مطالب اليهود القومية التى كانت قد بدات فى الظهور قبل هذا التقرير بعشرة اعوام بالدقة ، على ان تقوم الدولـة اليهودية ــ التى ستصبح صديقة لبريطانيا وعدوة لسكان المنطقة بطبيعة الحال ــ بتنفيذ مصالح الاستعمار بفصل القسم الافريقى من الوطن العربى عن قسمه الاسيوى قريبا من قنـاة السويس ــ شريان الاستعمار الرئيسى الى اهم مستعمرات بريطانيا ، درة التاج البريطانى حينذاك ــ فى الهند ، ولهذا لم يكن من المستغرب ان تصدر بريطانيا بعد عشرة اعوام اخرى من هذا التقرير فى عـام ١٩١٧ ــ وعدها الشهير الذى قام اللورد « أرثر جيمس بلفور » بتوقيعه وتقديمه الى اللورد « روتشيلد » والذى وعده فيه بان حكومة جلالة الملك توافق وتقترح اقامة وطن للشعب اليهودى فى فلسطين وانها ستبذل كل ما لديها من جهد فى سبيل تحقيق هذه الغاية .

وبذلك تكللت جهود خليفة (هرتزل) ، « حاييم وايزمان » بالنجاح فى ايجاد القوة الكبرى التى تكفل للصهيونية تحقيـق مطامعها ، بعد أن انصرف « هرتزل » الى البحث طويلا عن الدولة التى تستطيع ان تقدم الضمان لمشروع الوطن القومى اليهـودى والتى باءت معظمها بالفشل ، على الرغم من انه لم يترك سبيـلا يؤدى الى ذلك الا وطرقه ، فطلب مقابلات مع قيصر المانيا ومـع

السلطان عبد الحميد الثانى والى تركيا باعتبار ان فلسطين كانت
ضمن ممتلكات الدولة العثمانية — ومع (فون يلهف) وزير
داخلية الحكومة القيصرية ، ومع « فيكتور ايمانويل وتشمبرلين »
وزير المستعمرات البريطانية انذاك — حتى قامت بريطانيا — التى
كانت مصر واقعة تحت احتلالها — بعرض منطقة العريش
المصرية على اليهود ، الذين رفضوا الفكرة بسبب الاعتراضات
السياسية العنيفة التى اثارتها السلطات المصرية انذاك .

الباب الثانى

اساليب الصهيونية فى احتلال فلسطين

يمكن ايجاز الأساليب التى لجأت اليها الصهيونية العـالمية لاحتلال فلسطين على أساس عنصرى بحت ــ فيما يلى :

أولا : تضليل الرأى العام العالمى .

ثانيا : استخدام أساليب العنف والارهاب .

أولا ــ تضليل الرأى العـام العالمى :

(أ) كانت أول المزاعم غير الصحيحة التى أطلقتهـا الصـهيونية لتبرير غزوها لفلسطين، ما ادعته ــ على لسان مؤسسها (هرتزل) ومن خلفـوه من أن فلسطين تمثـل أرضا بلا شعب وبالتـالى ينبغى أن تعطى للشـعب الذى بلا ارض :

A land without people should be given to a people without land

كان هذا نفاقا وتزويرا متعمدا من قبل الصهيونية،يعترف به (دافيد بن جوريون) ذاته فى كتابه « مولد اسرائيل ومصيرها» (١) حينما يقول :

We art not blind to the fact that palestine is an voial) some million arabs inhabit both sides of jordan and not since yesterday

---

Darid ben gurion, " rebirth and desting of israel ,

« اننا لسنا بغافلين عن حقيقة أن فلسطين ليست أرضا فراغا .. فهناك قرابة مبون عربى يعيشون على ضفتى نهر الأردن وليس منذ الأمس فقط » .

بل ان صحيفة (هاعولام) الناطقة بلسان الحركة الصهيونية المركزية كانت قد نشرت تقريرا فى فلسطين ـ بتاريخ ١٩/٩/١٩١٣ ـ قالت فيه :

« ان القوة الاكبر فى فلسطين هى قوة العرب .. ونحن ننسى كلية ان هنالك عربا فى فلسطين ، ولم نكتشف هذه الحقيقة الا فى الاعوام الاخيرة فحسب ، اننا لم نأبه لهم ، كما لم نحاول ان نقيم لنا صداقات معهم » .

ونسوق هنا مثالا اخر ، ففى عام ١٨٩٥ اوصى (تيودور هرتزل) بضرورة طرد سكان فلسطين العرب (بحذر واحتراس وتكتم) ـ حسب تعبيره ـ لكن جهود خلفائه عام ١٩٤٨ لم تلتزم بهذا الحذر والاحتراس والتكتم ، لقد قامت الصهيونية بعملية الطرد الجماعى للعرب مستخدمة فى ذلك كافة وسائل التخويف والارهاب والقسوة ، بينما عمدت وسائل الاعلام الصهيونية الى العمل بكل جهد لطمس الحقائق وتشويهها بالنسبة للعالم الخارجى ، من اخفاء حقيقة تلك الأعمال الوحشية التى قامت بها المنظمات شبه العسكرية بحق عرب فلسطين لاجبارهم على ترك ديارهم ، وادعائها بانها انما كانت تطلب من عرب فلسطين البقاء فى بلادهم والعيش جنبا الى جنب مع اليهود ، وقامت المصادر الاسرائيلية ـ بعد قيام اسرائيل ـ بتقديم الوثائق الزائفة الى وسائل الاعلام الخارجية والى الامم المتحدة ، ومن خلال عدد لا يحصى من الكتب والمطبوعات قامت بتوزيعها ونشرها فى كافة ارجاء العالم ، والتى تثبت زيفا ان العرب انما تركوا فلسطين باختيارهم طواعية انصياعا لاوامر

وتعليمات زعماء الدول العربية المجاورة ، حتى يعطوا الفرصة للجيوش العربية بالقتال ضد العصابات الصهيونية بدعوى تجنيبهم ويلات القتال والحرب .

لقد دابت أبواق الاعلام الاسرائيلية فى هذا المجال بالاستشهاد بما زعمت ان المطران الجليل لطائفة الروم الكاثوليك فى فلسطين (جورج حكيم) قد كتبه والذى ادعت انه جاء فيه :

« كان العرب الفلسطينيون على ثقة بأن غيابهم عن بلادهم لن يطول ، وانهم سوف يعودون فى غضون بضعة أيام أو أسابيع قلائل ، حيث وعدهم زعماؤهم بان الجيوش العربية سوف تقوم بالقضاء على العصابات الصهيونية بسرعة فائقة ، وان لا حاجة بهم الى الفزع أو الخوف من نفى طويل الامد » .

والقارىء لهذه المقالة لابد — بطبيعة الحال — من أن يستنتج منها ان زعماء العرب هم الذين طلبوا من عرب فلسطين الخروج منها ، لحين القضاء على العصابات الصهيونية خلال مرحلة الصراع المسلح التى بدأت فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وانتهت فى أوائل ١٩٤٩ .

ولم يجد المطران (ج. حكيم) بدا فى نهاية الامر — حينما نمى الى علمه ان (ابا ايبان) — وزير خارجية اسرائيل الاسبق — قام كذلك بتقديم هذه المقولة المنسوبة اليه الى اللجنة السياسية الخاصة بالامم المتحدة فى ٢٨ نوفمبر ١٩٥٧ — من أن يكتب — فى الاول من ديسمبر عام ١٩٥٨ تكذيبا رسميا لما نسبه اليه الصهاينة وليحق الحق ، جاء فيه :

« اننى لم اصرح فى اى وقت البتة بان نزوح العرب من فلسطين انما جاء نتيجة للاوامر الصريحة او المستترة من قبل زعماؤهم ، والحقيقة هى ان النزوح العربى من فلسطين انما

جاء بالدرجة الاولى كنتيجة مباشرة للـــرعب الذى تملـــك الفلسطينيين عقب المذابح الوحشية التى اوتكبها فى عقهم اليهود، فى مذبحة دير ياسين ، والقاء القنابل بقسوة على جماعات كبيرة من العمال العرب الابرياء الذين تجمعوا عند المداخل الخارجية للمصافى قرب حيفا ، والهجوم الليلى الغادر على قـــرية (بلدة الشيخ) فى جوار حيفا ، وغير ذلك من الهجمات الوحشيـــة المماثلة ، ان هذه الاعمال الرهيبة كانت السبب فى نزوح السكان العرب من حيفا ويافا ونابلس والقدس وغيرها .

« لكن حالما بدات الاشـــتباكات بين اسرائيل ، والدول العربية ، اصبحت السياسة الثابتة للحكومة الاسرائيلية تقضى بكل حزم بطرد العرب من جميع الاماكن التى احتلتها قواتهـــا كاللد والرملة وكافة القرى الواقعة حولها » .

ب ــ وكانت ثانى هذه المزاعم الصهيونية ــ التى عملت جاهدة لتضليل الرأى العام العالمى وتعميته ــ ما لجأت اليـــه الصهيونية من الادعاء بتخلف شعب فلسطين وبالتالى فان قدوم اليهود اليها سيحمل الى البلاد والى العرب عـــلى السواء الكثير من المنافع والفوائد .

لقد رسم (هرتزل) صورة معينة لليهـــود فى كتاباته ، صورهم فيها على انهم يمثلون رسل المدنية الحديثة الى الشرق فالصهيونية ــ بحسب رأيه ــ انما هى حركة اخلاقية وانسانية النزعة ! بينما يرسم صورة بغيضة للعرب ، وما سوف يكون عليه حالهم ــ بعد ان يستعمرهم اليهود ــ بعد ٢٠ عاما ، فيكتب عنهم فى كتابه (رواية الارض القديمة) قائلا :

« فالذين ما ملكوا شيئا ، لم يخسروا اى شىء !.. بل لم يكن امامهم سوى الربح وقد ربحوا بالفعل فرص العمل، ووسائل العيش ، والرخاء والازدهار » .

ويستند الصهاينة فى ادعاء (الحضارة المتفوقة الى الزعم بوجود (فراغ حضارى Cultural Vacum) فى فلسطين والشرق الاوسط بصورة عامة ، والمعروف ان نظرية الفراغ الحضارى هذه ، وليدة الفلسفة التى كانت سائدة فى اوروبا ابان ظهور الحركة الصهيونية ، اى النظرة التى تعتبر كل رقعة من الارض خارج نطاق اوروبا خالية ، ليس من اهلها طبعا ، بل من حيث كونها تجسد نوعا من (الفراغ الحضارى) ، وبذلك تصبح قابلة للنشاط المتمدين والاستعمارى .

يعبر عن هذه النظرة ، الزعيم الصهيونى « ماكس نوردو » (١) ، حينما يكتب عام ١٩٠٧ معبرا عن استعداد الصهيونية لاداء رسالتها فى ملء الفراغ الحضارى فى منطقة الشرق الاوسط : « سوف نبذل كل ما فى وسعنا لكى نعمل فى الشرق الاوسط ما انجزه الانجليز فى الهند ، اعنى بذلك النشاط الثقافى والحضارى وليس السيطرة والتسلط ، نحن ننوى الذهاب الى فلسطين بمثابة الرسل المتمدين للحضارة والمدنية، ورسالتنا هى توسيع الحدود الاخلاقية حتى تصل الى نهر الفرات » .

هل كانت فلسطين ارضا جرداء ؟!

ان هذه المزاعم الصهيونية لتدعونا الى التساؤل : هل كانت فلسطين قبل الاحتلال الصهيونى لها ارضا متخلفة جرداء؟ فعلى الرغم من تلك الصور التى يرسمها الكتاب الصهيونيون لفلسطين عشية قيام اسرائيل ، والتى يحاولون من خلالها تصوير قيام اسرائيل فوق ارض صحراوية قاحلة ، ان الفضل

(1) Max nordau , zionis tjache echriften , P. 176

انما يرجع الى العبقرية الصهيونية التى نجحت فى تحويل هــذه الصحارى والقفار خلال سنوات قليلة الى دولة نموذجية وجنات خضراء مزروعة ، قائلين ان الدولة الحديثة العهد (اسرائيل) قد ورثت عن الانتداب البريطانى لدى قيامها عام ١٩٤٨ بلــــدا فقيرا وأرضا جدباء تفتقر الى مختلف مرافق الحياة والعمران ، على الرغم من تلك الادعاءات الصيونية ، فانها جميعا تفتقر الى أى شاهد أو دليل ، ففلسطين لم تكن صحراء فى يوم من الايام ، كما ان اليهود لم يقوموا بتعمير المناطق الصحراوية من البــلاد ، لسبب بسيط جدا وهو انهم لم يستوطنوها أصــلا حيث فضلوا الاقامة فى اغنى بقاع فلسطين واخصبها تربة منذ بدء هجرتهم ، وهى المنطقة الممتدة ما بين يافا وحيفا على ســاحل البحــــــر المتوسط ، ومرج بن عامر الداخلى وفى حوض نهر الاردن الاعلى، ولم تتعد ملكية اليهود عشية قيام الدولة فى ١٥ مايــو ١٩٤٨ ، ٦ ٪ من مجموع مساحة فلسطين . وكان ٩٨ ٪ من هذه المساحة المملوكة لهم فى المناطق الخصبة فكيف اذن يكونون قد قامــــوا بتعمير الصحراء ؟

ثم ان احصاءات حكومة فلسطين ذاتها لتدل دلالة واضحة على أن من عمر البلاد وزرعها هم سكانها العــرب دون غيرهم ، كما يظهر ذلك من الجدول الوارد فى التقرير الرسمى المرفوع الى لجنة التحقيق الانجلو ـ امريكية ـ عام ١٩٤٦ والذى نورده فيما يلــــى :

بيان المساحات المزروعة بواسطة العرب واليهود ومحاصيلها

عام ١٩٤٤/١٩٤٥

المحصول	اليهود		العرب	
	دونم	طن	دونم	طن
الحبوب	٢١٥ر١٩١	١٦ر٥٧٩	٤ر١٥٢ر٤٣٨	١٩٣ر٣٧٦
الخضروات	٤٠ر٢٠٧	٥٥ر٧٣٠	٢ر٠٣٩ر٧٣٣	١٨٩ر١٠٤
الأعلاف	١١٩ر٥٦٣	١٧٦ر٥٢٥	٢٣ر٩٧٠	٢٠ر٨٢٧
الفاكهة	٣٧ر٢١٧	٢١ر٣٩٨	٣٥ر٥٧٠٩	٧٣ر٣٢٠
الزيتون	٧ ٥٨٧	١ر١٨٢	٥٩٢ر٥٤٦	٧٨ر٢٨٧
البطيخ	٥ر٦٧٥	٧ر١٩٢	١٢٠ر٣٠٤	١٣٥ر٦٣٤
الحمضيات	١١٤ر٣٥٢	—	١٢٢ر٩٥٨	—

ويتضح من هذا الجدول ــ أنه باستثناء الأعلاف المخصصة لمزارع الأبقار ــ والتى لم يكن للفلاح العربى قدرة على اقتنائها وتمويلها بالنظر الى ايراده المحدود ــ ، **فأن الفلاح العربى هو الــذى كان العنصر الأســاسى والحاسم فى القطاع الزراعى ، بل اذا كان هنــاك من تعمير للصـــحراء ، فان الذى عمرها هم القبائل البدوية الفلسطينية المقيمة منــذ قرون فى منطقــة النقب الصحراوية جنوبى بئر السبع وأشهرها « عرب العزازمة » و « الترابين » الذين قضت عليهم اسرائيل وشتتت شملهم بعــد ١٩٤٨** ، كما انه يجدر بالذكر أن هذه القبائل كانت تزرع سنويا ــ بامكاناتها الضئيلة ــ مساحة معدلها ، مليون دونم ــ وهى مساحة تفوق ما كان فى ملكية اليهود من أراض ،، فيكون العرب البدو وحدهم قد انجزوا الزراعة فى الصـــحراء القاحلة بالذات بأكثر مما فعلت المؤسسات الصهيونية مجتمعة وبرؤوس أموالها

الضخمة وادعاءاتها الطنانة فى أخصب مناطق فلسطين تربة خلال سبعة عقود من الاستيطان المخطط والاستعمار العلمى المدروس.

ولعلنا فى هذا المجال نشير الى مغالطة صهيونية أخرى عن الاقتصاد الاسرائيلى الذى تتباهى به السلطات الاسرائيلية ، والذى لم ينشأ من عدم ، بل اخذ واستولى على منجزات التطور الفلسطينى واستولى كذلك على مقدرات وممتلكات السكان العرب بعد طردهم من بلادهم ، وهنا يصبح لزاما على الفاحص المتجرد لمقومات هذه الحجة المردودة أن ينبه الى مسألة (المنطق الفلسطينى للاقتصاد الاسرائيلى) ، فالصهيونيون استولوا على مقدرات البلد وأهله ، وما علينا الا ان نلقى نظرة الى الدخل الوطنى الفلسطينى وحصة العرب منه عام ١٩٤٤ مثلا ، حيث بلغت ما يزيد على ٤٤٪ من مجموع الدخل العام ، وليس أدل على مدى مساهمة الاقتصاد العربى الفلسطينى فى الاقتصاد الاسرائيلى من قيمة الاراضى والممتلكات العربية التى قام الصهيونيون بوضع يدهم عليها وتسخيرها فى خدمة اقتصادهم .

اما الحجة الصهيونية الأخرى والقائلة بأن قدوم اليهود الى فلسطين يعود أو عاد على العرب بمنافع شتى وفوائد عديدة ، وأن الاستيطان اليهودى يحمل فى طياته منافع ايجابية لهم ، فهى حجة باطلة جملة وتفصيلا .

ففى المجال الاقتصادى : فان السبل والقنوات التى تدفقت عبرها الأموال اليهودية الى فلسطين قبل قيام اسرائيل لم يستفد منها العرب بحال من الأحوال فالمعروف ان المؤسسات الصهيونية فى البلاد كانت ولاتزال قاصرة على اليهود دون سواهم ، كما أن الزعماء الصهيونيين كانوا يكرسون وقتهم وجهدهم خلال فترة الانتداب البريطانى لمحاربة تشغيل الأيدى العاملة العربية واستخدام العرب فى المرافق اليهودية .

بل أنه يمكن القول بأن قوة المال اليهودى انما ألحقت الأذى بسكان البــلاد الأصليين اذ تمكنت الأموال اليهودية من وضـــع عـــرب فلسطين تحت رحمة حالة من النقص ازاء وفرتها ، مما جعل الطرفين غير متكافئين من حيث الوسائل المالية الموضوعة تحت تصرف كل منهما .

وفى المجال الاجتماعى : فان العرب لم يرسلوا أبناءهم قط الى المدارس اليهودية ، اذ كان تعليمهم يتم فى المدارس الحكومية العربية أو الخاصة أو التبشيرية كذلك كان الامر فى المجال الصحى والخدمات الاجتماعية بصفة عامة ، حيث كان السواد الأعظم من عرب فلسطين يتلقــون هــذه الخــدمات عن طريق المؤسسات الحكومية وغيرها من المؤسسات الخاصة ولا صحة اطلاقا للزعم الصهيونى بأن تمويل هــذه المؤسسات الحكومية الاجتماعية كان يتم عن طريق استغلال الطاقة الضريبية اليهودية ، بل الواقع هو أن ضرورة حماية الوجــود الصــهيونى الذى فرضه الانتــداب البريطانى فرضا على عرب فلسطين لم يسمح للحكومة المنتدبة بانفاق أكثر من جزء يسير جدا من دخلها على الخدمات الاجتماعية لاضطرارها الى تخصيص الجــزء الأكبر منه على قــوات الأمن والشرطة وأعمال قمع المقاومة العربية .

أما فى الحقل السياسى : فموقف الصــهيونية من العــامل والفلاح العربى لم يتميز اطلاقا بالرغبة فى التحالف معهما ، بل على النقيض من ذلك ، فان دســاتير المؤسسات الصـــهيونية الاستعمارية الكبرى نصت صراحة وتخصيصا على عدم استخدام اليد العاملة العربية فى أى من المشاريع الصهيونية الاستيطانية .

وعــلى أية حال ، فان الصهيونية بحســب طبيعتها وغايتها ليست بالتأكيد بمثابة (جمعية خيرية) تعمل لمصلحة العرب وفى

سبيل رفعة شأنهم ، وهذا ما يعرفه كل من الاسرائيليين والعرب تمام المعرفة .

وعليه ، فان المكاسب الوحيدة التى أحرزها عرب فلسطين من جراء الصهيونية انما تركزت فى اجلائهم عن ديارهم وطردهم من وطنهم ، والعمل على تهويد فلسطين بأكملها ، وازالة صبغتها العربية ، ولا ينبغى هنا أن نغفـل كذلك أن النظرة الصـهيونية الأصيلة الى العرب وحقوقهم كانت ــ ولا تزال ــ تعتبر عرب فلسطين ــ وفى المقام الاول ــ بمثابة العقبة الرئيسية التى يجب ازالتها من الطريق .

ثانيا : أستخدام أساليب العنف والارهاب

لا يعرف التـــاريخ حالات أخرى جـــرى فيها استبدال كامل بالفعـــل للسكان الأصليين فى بلد ما ، بأجناس من الدخلاء ، فى غضـون فترة قصيرة لا تتجاوز جيلين ، غير أن هذا الواقع هـــو ما تم فى فلسطين منذ بداية هذا القرن ، وهنا يكمن جوهر الأزمة فى الشرق الأوسط وما ينتابه بين الحين والحين من اضطرابات وحروب لا تبدو لها نهاية قريبة ..

وبالرجوع الى أوثق المصادر الاحصائية واقلها تحيزا ، للعملية التى تم بها تحويل فلسطين ــ التى عرفها العالم بهذا الاسم قبل ١٩٤٨ ــ وأصبحت الآن ــ بكاملها تحت الاحتلال الاسرائيلى من أرض مأهولة بسكانها العـــرب من مسلمين ومسيحيين واليهود الأصليين الذين اندمجوا مع الأغلبية لغويا وثقـــافيا ــ الى بلد تقطنه أغلبية ساحقة من اليهـــود الذين جلبوا من شتى بقـــاع العالم ، ان هذا الاستبدال الجذرى والمستمر حتى الآن للسكان ــ رغم معارضة أصحاب البـــلاد الأصليين ومقـــاومتهم ــ يعتبر أساسا لمشكلة الشرق الأوسط .

فبالرجوع الى أوثق المصادر العلمية واليهودية كذلك ، وحتى منتصف القرن التاسع عشر كان بفلسطين نحو نصف مليون نسمة من العرب يعيشون فى هذا البـــلد الذى كان تابعا للامبراطورية العثمانية ، ومن أصل هؤلاء ، كان أكثر من ٨٠٪ مسلمين و ١٥٪ من المسيحيين ، ٥٪ فقط من اليهود .

لقد تمتعت هذه الفئات الثلاث ــ على اختـــلاف معتقداتها الدينية ــ بالكثير من العـــــادات والخصال المشتركة ، لغـــويا

وثقافيا ، وفى ظل القانون العثمانى احتفظت كل طائفة منها باستقلالها الذاتى فى شئون الأحوال الشخصية والعبادات والعمل وكافة مظاهر الحياة .

وبما أن اسرائيل تستند جزئيا فى مطالبتها باحتلال فلسطين وأحقية اليهود بالعيش فيها الى حجة من الاقامة اليهودية المتصلة فى تلك البلاد ، فانه ينبغى أن نفحص ـ بشىء من التفصيل ـ حجم الطائفة اليهودية وتوزيعها فى فلسطين ابان القرن التاسع عشر .

تقول المصادر الاسرائيلية (الكتاب السنوى الاسرائيلى لعام ١٩٥١/٥٠ ص ٨١) أنه لم يكن بفلسطين عام ١٨٨٢ أكثر من ٢٤٫٠٠٠ يهودى ، ورغم أن هذا الرقم قد تضاعف تقريبا فى أواخر القرن الماضى ، فان تلك الزيادة لم تأت كأثر طبيعى لحركة المواليد والوفيات ، بل جاءت بفعل الموجة الأولى للهجرة الأوروبية التى وفدت من روسيا بشكل رئيسى ، ومع حلول عام ١٩٠٠ كان هناك بفلسطين نحو ٥٠ ألفا من اليهود بفلسطين ، يتركز معظمهم فى مناطق المدن بالقدس ويافا ، حيث لم يقوموا بمحاولة زراعة الأراضى أو امتلاكها حتى ذاك الحين .

وظلت حركة الهجرة اليهودية مستمرة ـ بفضل مساعدة سلطات الانتداب البريطانى ـ الى فلسطين رغم احتجاج أصحاب البلاد من العرب وقيامهم بالعديد من الاضرابات وتقديم الاحتجاجات الى المندوبين الساميين البريطانيين دون جدوى .

وما أن حل عام ١٩٣٢ ، حتى بدأ سيل الهجرة اليهودية يتدفق الى فلسطين ، حيث بلغ عدد المهاجرين الوافدين من اليهود الى فلسطين خلال المدة من ١٩٣٢ ـ ١٩٣٦ (٤ سنوات) ١٧٤٫٠٠٠ ألفا من اليهود ، الأمر الذى قفز بعدد اليهود عام ١٩٣٦ ـ حينما نشبت الاضطرابات المسلحة بالبلاد ـ الى نحو ٣٧٠ ألف يهودى .

وهذه الزيادة المفاجئة ترجع فى أغلبهــا الى تقلد هتلر مقاليد حكم ألمــانيا واضطهاده لليهود خلال فترة حكمه ، وعند نهــاية عام ١٩٤٣ ، قدرت دائرة الاحصاء فى حكومة فلسطين أن مجموع ســكان البــلاد قد بلغ ١٫٦٧٦٫٥٧١ نسمة منهم ٥٠٠٫٠٠٠ يهودى (نحو ثلث السكان) (١) .

كيف تم طرد العرب من فلسطين ؟

وهكذا ظلت القيادة الصهيونية ــ عن طريق الوكالة اليهودية التى أنشأتها هنــــاك ــ وبمعــاونة سلطات الانتداب البريطانى فى فلسطين التى كانت تجاهد لتنفيــذ وعد بلفور ــ تعمل على أن يصبح اليهود أكثرية فى فلسطين ، وذلك بجلب اليهود من الخارج بكافة الوسائل والطرق مع العمل جنبا الى جنب على تسليحها وتزويدها بمختلف أنواع الذخائر وتدريبها على القتال استعدادا للحظة التى ينقضون فيها على البلاد لطرد أهلها العــرب الذين عاشوا فوق ترابها منذ مئــات السنين ، **وبينما كانت ســلطات الانتداب البريطانية تقبض على أى عربى (خلال فترة الانتداب المدة من ١٩٢٢ ــ ١٩٤٧) يحمل سلاحا ولو كان مجرد مطواة ،**

---

(١) وكذلك الوضع بالنسبة للأراضى ، فبينما أشارت الاحصائيات الرسمية أن مجموع المساحات التى كانت المنظمة الصهيونية العالمية قد تمكنت من شرائها حتى عــام ١٩٣١ لا تزيد عن ٧٠٫٠٠٠ دونم ، فقــد ارتفع هذا الرقم بمساعدة سلطات الانتداب البريطانى على فلسطين ــ الى ١٨٧ ألف دونم عام ١٩٣٥ ، ثم الى ٦٦٧ ألف دونم (منها ١٠٠ ألف بعقود غير رسمية ــ ٨٢ ألف منحة من الحكومة البريطانية ــ ٧٥ ألف دونهم حصلت عليها شركة البوتاس ــ ١٨ ألف دونم حصلت عليها شركة كهرباء روتنبرج) .

كانت تغمض عينيها وتتغاضى عن مصانع الأسلحة الصغيرة التى كانت الوكالة اليهودية قد أقامتها بحيث صارت تنتج بالفعل بعض الأسلحة مثـل البنادق والرشاشات القصـيرة ومدافع المورتار (الهاون) والذخائر وغيرها ، بل لقـد كان لليهود فى فلسـطين منظمات عسكرية جيدة التسليح ، مثل منظمة (الهاجاناة) التى تألفت فى بادىء الأمر لحراسة المستعمرات اليهودية فى فلسطين، ثم نمت قواتها حتى أصبحت تسير فى تنظيمها وتدريبها وتسليحها وتقسيمها الادارى والجغرافى على غرار النظم المتبعة فى الجيوش النظامية ، والتى اشتركت خلال الحرب العالمية الثانية معالجيش البريطانى فى محاربة قوات حكومة (فيشى) فى سوريا ولبنان ، كما كان لهـا مصانعها الخاصـة بانتـاج الأسلحة والذخيرة ، بالاضافة الى الفروع المنتشرة فى معظم دول العالم .

كما كان يتبع (الهاجاناة) قوات (البالماخ) التى تكونت عام ١٩٤٢ والتى كانت مخصصة للقيام بالعمليات الخاصـة ، هذا بالاضافة الى منظمة (الايرجون زفاى ليومى) التى انشقت عن (الهاجاناة) وتولى رئاستها عام ٤٧ (مناحم بيجن) ، ومنظمة (شتيرن) التى انشقت هى الأخرى عن منظمة (الايرجون) عام ١٩٤٠ تحت رئاسة (ابراهام شتيرن) .

المخطط الصهيونى لاخلاء فلسطين من أهلها :

ما أن أعلنت الحكومة البريطانية عن نيتها فى انهاء انتدابها على فلسطين والانسحاب منها بصفة نهائية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وذلك بعد أن عجزت عن الوفاء بتعهداتها لكل من العرب واليهود حتى ابتكرت السلطات الصـهيونية فى فلسطين خطة جديدة للتخلص من العرب ـ أصحاب البلاد ـ والاستيلاء على أراضيهم وممتلكاتهم خالية منهم وجاهزة لاسـتقبال اليهود الذين بدأوا يفدون من كل مكان وقد عرفت هذه الخطة باسم (حدوة الحصان)

وهى تعنى محاصرة منطقة ما حصارا تاما ثم ترك ثغرة فى الحصار عمدا بحيث تسمح هذه الثغرة بافلات جماهير الهاربين الناجين من الموت ، وبطبيعة الحال تركز نيران الأسلحة بكثافة عالية فى جميع الجهات ما عدا الثغرة المتروكة ..

ولقد صرح أحد أعضاء الكنيسيت الاسرائيلى عام ١٩٥٠ بأن هذه الخطة (حدوة الحصان) أو (خطة الذعر) كانت من اقتراح (دافيد بن جوريون) شخصيا ، كما ذكرت صحيفة (هاماشكيف) الاسرائيلية ان تلك الخطة عرضت بعد ذلك على المؤسسة العسكرية ونالت موافقتها .

وكانت هذه الخطة مناسبة تماما للصهاينة ؛ حيث أنه كان من المستحيل عمليا ابادة مجموعات كبيرة من البشر فى وقت قصير ، ولذلك فان ارهاب هذه المجموعات وتركها تنجو بنفسها تاركة كل ممتلكاتها فى هذه العجالة واللهفة على النجاة ، يسمح لليهود تماما بالاستيلاء على البلاد دون أهلها العرب ، وكان هذا بالدقة هو هدف القيادة الصهيونية فى تلك المرحلة ، أرض بلا سكان تشغلها بالمهاجرين اليهود لاقامة الدولة الاسرائيلية المنشودة التى تتسع فيما بعد لتحقيق رؤيا أنبياء اسرائيل واعادة اقامة مملكة داود وسليمان . . من النيل الى الفرات . . .

مذبحة دير ياسين تطبيق عملى لخطة (حدوة الحصان) :

لقد كانت مذبحة (دير ياسين) التى قامت العصابات الارهابيةالاسرائيلية بتنفيذها بأوامر صريحةمن الوكالةاليهودية تطبيقا عمليا لتنفيذ (خطة الذعر) أو حدوة الحصان وفى ذلك يكتب المؤرخ البريطانى (ادجار أوبلانس) : (١)

---

(1) The arab - Israeli war (1948) london 1956 P - 63

« ان السياسة اليهودية كانت ولا تزال تقوم على دفع العرب على مغـــادره بيوتهم ، حيث استخدم الصهيونيون أساليب الحرب النفسية على أوسع نطاق لحثهم على الفرار » .

ان أســـاليب الحـــرب النفسية هذه قد اعترف بهـــا بعض الكتاب الصهيونيون أنفسهم ، كما كانت الضربة النفسية القـــوية التى أحدثت اقصى التأثير لدى المدنيين الفلسطينيين العرب تتمثل فى المذبحة التى ذهب ضحيتها نحو ٢٥٠ شخصا من الشـــيوخ والنساء والاطفال فى قرية (دير ياسين) المسالمة ، فالقيـــام بتشويه جثث الضحايا العرب . واستعراض الذين لم يقتلوا فى شاحنات مكشوفة عبر شوارع القدس المجاورة كى يبصق عليهم، والمؤتمر الصحفى المتعمد الذى تم عقده لاعلان المذبحة ، كل ذلك انما جاء من عمل وحدة تابعة للمنظمة العسكرية الصهيونية التى تشكل منها الجيش الاسرائيلى فيما بعد ، وهى عصابة (الايرجون زفاى ليومى) .

وبينما عمدت الوكالة اليهودية حينذاك الى استنكارهذه الجريمة البشعة فى محاولة منها للتنصل من نتائجها ، الا أن الاسرائيليين واسعى الاطلاع صرحوا بأن (الايرجـــون) فى عام ١٩٤٨ كانت تمارس عملياتها تحت قيادة (الهاجاناة) فى القطاعات المحليـــة « فمن الثابت أن وحدة تابعـــــة للهاجاناة هى التى احتلت قرية (دير ياسين) فى أول الأمر ، ثم قامت بتسليمها الى عصـــــابة (الأيرجون) فيما بعد .

ويضيف أوبلانس :

ان اليهود لم يتورعوا فيما بعد عن استغلال آثار تلك المذبحة البشعة والافادة منها الى أقصى حد ، ففى الأسابيع التاليـــــة للمذبحة (التى تمت فى ١٩٤٨/٤/٨) وبمدينة القدس ، سمعت (برتاسيا فورد فوستر) — وهى تابعة لارسالية طبية مسيحية —

مكبرات الصوت تنادى باللغة العربية : (أيها العرب . . اذا لم تغادروا بيوتكم فسوف يحل بكم ما حل بسكان (دير ياسين) !!

أما « جاك دى رينيه » — مندوب الصليب الأحمر الدولى — الذى زار قرية (دير ياسين) عقب المذبحة مباشرة ، فيعلق على ما شاهده من آثار حمام الدم بها بقــوله : « ان مذبحة دير ياسين قد نشرت رعبا واسع النطاق ، وقد لجأ اليهود ببراعة فائقــة فى الابقاء على هذا الرعب لدى العرب الفلسطينيين دوما .

كما يكتب الجنرال « جون باجت جلوب » فى كتابه جنــدى مع العرب » (١) وقائد الفيلق العربى (الاردنى) وقتئذ :

« لقد سمعت بأذنى رجال الهاجاناة اليهود وهم يعلنــون بمكبرات الصوت فى مدينة القدس بعد مذبحة دير ياسين (وكان طريق أريحا لا يزال مفتوحا) : أيها العرب اختاروا بين هــذا الطريق وبين مصير دير ياسين » .

وفى ١٢ ابريل ١٩٤٨ وقف وزير الدولة لشئون المستعمرات البريطانى ليعلن فى مجلس العموم البريطانى :

« ان هذا العدوان البربرى دليل على الوحشية ، لقــد كان بمثابة جريمة جديدة أضيفت الى سلسلة طويلة من الآثار الفظيعة التى ارتكبها الصهاينة حتى اليوم ، والتى تعجز الكلمات عن وصف ما تنطوى عليه من بواعث الاشمئزاز والحزن العميق » .

بل ان صحيفة (ميفــراك) — الناطقة بلسان منظمــة (شيرن) الارهابية تتفــاخر بهذه الجــريمة البشعة ، فتكتب فى ١٩٤٨/٩/٧ :

« ان كل انسان يعلم أن الهجوم على دير ياسين ، هـــو

---

(1) Sir john . B. glubb, asoldier with arabs, (london, 1957)

الذى روع الجماهير العربية وأرغمها على الفرار ، وانها لمعجزة تلك التى أنزلت بالعرب أكبر ضربة شددت من عزائمنا وقوت من معنوياتنا ، انه (انتصار) لا تستطيع قوات (الهاجاناة) مجتمعة أن تحققه » .

النصر اليهودى :

أما هذا (النصر) اليهودى الذى تتحدث عنه صحيفة (ميفراك) فى دير ياسين ، فسنقوم بايجاز وقائعه البشعة والتى يندى لها جبين الانسانية جمعاء ، من وصف للكاتب الامريكى (لورنس جريسولد) الذى يقول :

فى فجر التاسع من أبريل ١٩٤٨ ، وبينما كان الفلاحون العرب ينصبون الخيام فى سوق القرية ، زحفت دبابتان من طراز (شيرمان) الى مداخل قرية (دير ياسين) لتمر فوق جسد اثنين من الفلاحين العرب كانا نائمين على باب دارهما ، ومن خلف الدبابتين ، كان يزحف نحو خمسمائة من المسلحين اليهود المزودين بالمدافع الرشاشة ، والذين قاموا بالهجوم على الأهالى المتجمعين فى سوق القرية ليطلقوا عليهم النيران ، كما أجهمت على ذلك بعض النساء والأطفال الذين بقوا على قيد الحياة ، ونسلمتهم سيارات الصليب الأحمر بعد الحاح شديد على اليهود للسماح بذلك ، وبعد أن فر الأهالى من نيران الدبابات والمدافع ، تعقبهم الجنود اليهود الى الطرق والمنازل التى حاولوا الاحتماء بها أو الاختفاء فيها .

« وكانت بعض الفظائع التى ارتكبها اليهود بحق العرب تقترن بالتفنن فى الارهاب فقد أوقف الغزاة (٢٥) امرأة حاملا فى صف واحد ، ليطلقوا عليهن الرصاص ، ثم قاموا ببقر بطونهن بالخناجر والسونكى ، وأخرجوا الأجنة منها ، ليقطعوا الأطفال اربا اربا على مرأى من آبائهم ، بينما خصى الصبية منهم قبل

ذبحهم ، كما بترت الاصابع والايدى لانتزاع الحلى والخواتم من اصحابها » .

وبعد ذلك تم نقل الاحياء من اهالى القرية البائسة فى لوارى عن طريق شوارع القدس فى مظهر استعراضى ، كمظهر من مظاهر (النصر) ، وبالفعـــل تم نقل الأسرى فى الشاحنات على خمس دفعات الى مدخل يافا ، ليستقبلهم اليهود هناك بالهتافات والسخرية من العرب البائسين » .

« مناحم بيجين » : النصر فى دير ياسين :

ان الارهابى الصهيونى « مناحم بيجين » والذى تزعم وخطط هجوم دير ياسين يكتب بعد المذبحة قائلا :

« انه لولا النصر فى دير ياسين لما كانت هناك دولة اسرائيل ، وأن القصص البشـــعة التى سرت حـــود وحشـــية (الايرجون) فى دير ياسين قد انتشرت انتشارا سريعا بعد المذبحة من عربى الى عربى ، وتسببت فى فرار ٦٣٥ ألف عربى بطريقة مذعورة ، وأخذ العرب يولون الأدبار مرددين : (دير ياسين .. دير ياسين) ، فلم يبق فى (صفد) بشمال فلسطين مثلا شخص واحد من ١٤ الف عربى بعد ست ساعات فقط من بدء الهجرة ! » .

ارهاب يهودى متعمد :

ويمدنا الدكتور (وليم ارنست هوكينج) بتفاصيل دقيقـــة عن سياسة الارهاب والبطش التى خططت لها ومارستها السلطات اليهودية فى فلسطين ، والتى أسفرت عن هروب أكثر من ٣٠٠ الف عربى قبل نشوب النزاع المسلح بين اسرائيل والدول العـــربية (فى ١٥ مايو ١٩٤٨) الأمر الذى وفر النجاح للمخطط الارهابى الصهيونى لتـــوفير مســـــاحات واسعة من الاراضى والممتلكات العربية ليسكنها اليهود الوافدين . .

ويقول الدكتور (ارنست) أن سياسة الارهاب اليهودية المتعمدة التى اتخذتها القوات الصهيونية فى محاولة لتخويف العرب واخضاعهم وكسر ارادتهم عن الاستمرار فى المقاومة كانت من العوامل التى عجلت فى هرب الجماهير الشامل ، وليس أوامر الهيئة العربية العليا ـ كما يزعم الاسرائيليون ، أما الذين لم تحرضهم الدعاية الصهيونية على مغادرة بيوتهم ، فقد هربوا على رؤوس حراب الجيش الاسرائيلى فيما بعد .

توينبى : أصبح اليهود ظالمون فى أول فرصة :

أما المؤرخ البريطانى ، « أرنولد توينبى » ، فيعلق على سياسة الارهاب الصهيونى فى فلسطين ، بقوله :

« ان رد فعل اليهود المباشر لتجربتهم الخاصة هو أن يصبحوا ظالمين بدورهم للمرة الاولى منذ عام ٧٠ ميلادية ، وذلك بمجرد أن لاحت لهم اول فرصة كى يوقعوا بغيرهم من بنى البشر ، ممن لم يقترفوا اى اثم فى حقهم ، وانما شاءت الاقدار أن يكونوا أقل قوة منهم ، بعض المظالم والمعاناة التى لحقت باليهود على أيدى الكثيرون من مضطهديهم من الحكام الغربيين غير اليهود خلال سبعة عشر قرنا ، ذلك أنه فى عام ١٩٤٨ ، فقد ٦٨٤ الف مواطن عربى من مجموع السكان العرب البالغ عددهم ٨٥٩ الفا كانوا يعيشون فى المدن الفلسطينية التى احتلها اليهود الصهاينة بقوة السلاح فى ذلك العام ، ديارهم وممتلكاتهم وأصبحوا من المعدمين ، ولاجئين ، وانه من الأفعال الشريرة التى اقترفها اليهود الصهاينة ضد عرب فلسطين ، والتى لا تختلف كثيرا عن الجرائم التى ارتكبت ضدهم على أيدى النازيين ، كانذبح النساء والاطفال والرجال فى قرية (دير ياسين) ، وما أعقب ذلك من طرد متعمد للسكان العرب من الأحياء التى اعتدت عليها القوات المسلحة اليهودية فيما بين الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ وأواخر ذلك العام ، مثال ذلك أولئك العرب الذين طردوا من عكا فى شهر مايو ١٩٤٨ ومن

اللد والرملة فى يوليو من نفس العام ومن بئر السبع والجليل فى اكتوبر ، ان مسئولية الدماء التى اريقت فى دير باسين انما تقع على عصابة (الايرجون) ، اما مسئولية عمليات الطرد الجماعى للعرب التى جرت بعد ذلك فى أعقاب الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ فانها تقع بالتأكيد على عاتق اسرائيل كلها » .

موشيه مينوحيم يسجل الارهاب اليهودى :

ان الكاتب اليهودى « موشيه مينوحيم » ـ العضو النشط فى المجلس الامريكى لليهودية ـ يسجل مظاهر الارهاب اليهودى الذى مارسته السلطات اليهودية فى فلسطين لاجبار أهالى فلسطين العرب على هجر بيوتهم ومغادرة أراضيهم ، فيكتب :

فى ٩ ابريل ١٩٤٨ ـ اى قبل شهر من اعلان قيام دولة اسرائيل ـ طلب من « مناحم بيجين » ـ زعيم منظمة «الايرجون» بالتعاون مع منظمة (شتيرن) اتمام المهمة التى بدأتها (الهاجاناة) فى ضرب العرب ، ولكى يضربوا مثلا للعرب على ما سوف يحدث لهم اذا لم يرحلوا عما أطلقوا عليه (أرض اسرائيل التابعة لنا) ، قاموا بقتل نحو ٢٣٠ من الرجال والنساء والاطفال فى قرية دير ياسين ، ليبدأ السكان العرب فى الفرار من ديارهم وبلادهم ، حتى أن « بيجين » يكتب فى كتاب الملىء بالفضائح والفظائع (الثورة) : (١)

« لقد كنا كسكين حامية مسلطة على رقاب حمائم ، لقد احتللنا الارض فقط وكان العرب يفرون أمامنا حفاظا على أرواحهم ، وبحثا عن طعامهم مرددين : دير ياسين . . دير ياسين . . » .

يضيف « موشيه مينوحيم » :

وبعد مذبحة دير ياسين التى قتل فيها الكثيرون من النساء والاطفال وبينما كان عرب فلسطين يفرون بمئات الآلاف من ديارهم

M. begin, the revolt ; story of the Irgun, N. york, 1951.

بحثا عن الامن والمأوى ظل وسيط الامم المتحدة الكونت « فولك برنادوت » — يتردد يوميا على القاهرة وعمان وبيروت والقدس بحثا عن سبل السلام والعدل ، وقد وضع كتابا باللغة السويدية ثم ترجمته الى الانجليزية ، « ولكنكم لم تستطيعوا ان تحصلوا عليه بأى ثمن ، لقد قضيت أنا شخصيا نحو اربعة شهور قبل أن أجد نسخة منه فى الولايات المتحدة الامريكية ، ولن تجدوا مثل هذه النسخة بطبيعة الحال فى نيويورك أو لندن أو باريس .

ان برنادوت يكتب فى كتابه هذا قائلا : « عندما ناقشت مع موشيه شرتوك — وزير خارجية اسرائيل — مسألة مستقبل فلسطين لأول مرة ، وافق مستر شرتوك (شاريت فيما بعد) على أننى كنت محقا فى أن الحلول الثلاثة التى اقترحتها فيما يختص بالقسم العربى من فلسطين قد غطت دون شك كافة الاحتمالات ، غير أنه أضاف أنه يمكن أن يكون هناك حل رابع ، هو أن تصبح كل فلسطين تابعة لاسرائيل .

« وكان هذا هو راى « شاريت » الذى كنت أعتبره من اكثر الشخصيات الصهيونية اعتدالا فى مجموعة السفاحين التى تتشكل منها حكومة اسرائيل المؤقتة » .

جريمة اغتيال الوسيط الدولى :

ثم يتطرق الكاتب اليهودى « موشيه مينوحيم » الى صورة اخرى من صور الارهاب اليهودى فى فلسطين ، والوسائل التى تتبعها الصهيونية لتحقيق مآربها ، فيكتب :

« لقد القى القبض على قاتل الكونت « فولك برنادوت » بعد أن طالبت الامم المتحدة بالحاح حكومة اسرائيل المؤقتة بكتابة تقرير الى مجلس الامن عن هذا العمل الخسيس Cowardly act وبعد شهرين ، وتحت ضغط السخط الذى

ســـاد الرأى العـــام تجاه هذه الجريمة النكراء ، ألقت اسرائيل القبض على (انجـــريد مان بالين) و (ماتوتياس مولوفيتش) وقدما للمحاكمة أمام محكمة اسرائيلية فى عكا ــ المدينة العــربيه التى لم تكن يهودية أبدا ــ وفى أثناء المحاكمة ، هاجم (بالين) الكونت (برنادوت) لأنه يمثل فى نظره عدو لاسرائيـــل ، وكانت وجهة نظر هذا القاتل اليهودى ان (برنادوت) وقف فى وجـــه استيلاء اليهود على المملكة الأردنية وعلى كل فلسطين . يقول (موشيه مينوحيم) :

وبعد فترة ظهر هذا القاتل فجأة فى لندن فى اجتماع شعبى نظمه له صديق اسمه (ساكس) ، ليلقى خطابا غير عادى عن هذا الموضوع ، وكأنما صحا ضميره فجأة فقال :

« لقد حاربت ضد الطغاة البريطانيين أثناء فترة الانتـــداب ولكن ليس من أجل أن يضطهد شعبنا بدوره شعبا آخر » .

ونتابع ما قاله الكاتب اليهودى (مينوحيم) :

« فما هو رأيكم فى هذه الفترة التى تأتى فجأة فى حديث هذا القاتل لصالح العرب ؟ ان أفراد عصابة « شتيرن » لم يقتـــلوا الضباط الانجليز ويسرقوا المعدات والذخائر البريطانية من مخازن الاسلحة فحسب ، بل انهم أيضا تصرفوا بأبشع طريقة وعذبوا العرب بطريقة لا تقل وحشية عما فعله الألمان باليهود فى المانيا . ان « بيجين » لم يحاكم على الاطلاق بل أصبح عضـــوا بارزا فى الكنيست ، كما أن القـــاتل (بالين) قد حكم عليه بالبراءة من جريمة القتل واصبح بدوره عضوا فى الكنيست وحتى يومنا هذا ، يعـــد كلاهما من الاعضــــاء البارزين فى الكنيست فبيجين زعيم (حيروت) أو الحرية . أن الحرية فى مفهومه انما تعنى استعباد العرب ، وتمتع اليهود فقط بالحرية ، وكم أود ان يخرج علينـــا

هذا القاتل ليعلن توبته ، هذا ما يمكن أن أقبله ولكن لا يستطيع اى رجل فاضـــل أن يقف حيث يقف هو ، لاننا آدميون ، ويمكن أن نكون ضحية تضليل قوى أكبر منا أوأ فكار مجنونة أو أشخاص مثل هتلر وبن جوريون وجولدا مائير وأبا ايبان الذين يتمتعـــــون بموهبة الثرثرة واقناع الابرياء من الناس وتضليلهم ، انهم يقومون بتضليل معظم اليهود ، ويدفعونهم الى مساعدتهم ماليا وعسكريا وسياسيا والله وحده يعلم ما اذا كانوا سيدفعون ثمن ذلك غاليا يوما ما ، ولـــكن ليس كمـــا دفع (بيجين) أو (بالين) ثمن خطيئتهما ! » .

لم يترك عرب فلسطين بلادهم طواعية :

وهكذا نرى أنه على الرغم من أساليب الدعاية الصهيونية التى أشاعت فى العالم أن العرب تركوا فلسطين طواعية أو بأوامر من زعماء الدول العربية المجاورة الا أن الحقيقة الثابتة أنه قد تم التخطيط بين الوكالة اليهودية فى فلسطين والصهيونية العالمية — اعتبارا منذ بداية انسحاب القوات البريطانية من فلسطين عام ١٩٤٧ — على استخدام أساليب الحرب النفسية والارهابية على نطاق واسع لاجبار العرب على هجر ديارهم ، كما سلف القول .

ومن قبيل خداع الرأى العام ، فبينما استمرت محطـــــات الاذاعة العربية فى بث النداءات الى عرب فلسطين لمناشدتهم البقاء فى وطنهم ، والا يتملكهم الرعب مع عدم الاصـــــغاء الى مروجى الشائعات ، كانت محطات الراديو الصهيونية تتابع بث الاذاعات النفسية ضد العرب لتخويفهم بدرجة عالية وباللغة العربية ، كما أسهم القسم العربى الخاص بالهاجاناه ، والذى كان مجهـــزا بصهاينة يتحـــدثون اللغة العربية بطلاقة ، وجرى اختيـــارهم لملامحهم العربية ، فارتدوا الزى العربى ليتنقلوا بين الجمـــاعات العربية فى محاولات دائبة لنشر الشائعات والتقاط المعلومات التى

تفيد مخططاتهم ، ومنها يقومون ببث الانباء على جناح السرعة من الاذاعة اليهودية باللغة العربية حتى يتركوا الانطباع لدى العـــرب بأنهم محاطون بالجواسيس من كل جانب . .

لقد كان من ضمن احدى هذه الوسائل النفسية التى اتبعها الصهيونيون لاجلاء وترويع العرب الفلسطينيين ، تلك القنبـــلة التىصنعها اليهود لمدفع الهاون التىأطلقوا عليها اسم (دافيدكا)، والتى تحمل ٦٠ رطلا من المواد شـــديدة الانفجار ويبلغ مداها ٣٠٠ ياردة ، ولم يكن التركيز فى هذه القذائف يعتمـــد على دقة اصابة الهـــدف ، ولكن على الصوت الهائل الذى بامكانه ترويع الجماهير العربية بتأثير نفسى مدمر . . (١)

كما كان من الاسلحة الاكثر تطورا والتى استخدمها اليهود لترويع العرب قنبلة (برميل المتفجـــرات) التى جرى تصميمها خصيصا للعديد من المدن العـــربية وأحيائها التى كانت مكتظة بالسكان وتقع على تلال فلسطين وهضابها وهى عبارة عن براميل واوعية للسوائل وغيرها ذات الشكل الاسطوانى ، تعبأ بخليط من المتفجـــرات والبـــترول وتركب على دولابين مستعملين من الكاوتشوك يحتويان على جهاز للتفجير ، ثم تجرى دحرجة هذه البراميل فى الممرات والطرقات المنحدرة داخل أحياء المدن والقرى العربية حتى تصطدم بالجدران ومداخل البيوت فتولد (جحيمـــا من اللهب) وانفجارات لا حد لها (٢) .

ان الكاتب اليهودى (آرثر كوســـتلر) وغيره من الكتاب يصفون كيف أن الاسرائيليين ــ من خلال استخدامهم لهذه الادوات

---

(1) Edge of the sword P - 103 sacker israel

(2) Leo heiman in marine corps gazette june 1964

الجهنمية ــ أخذوا يجبرون المدنيين العــــرب على ترك ديارهم وأراضيهم ، كما يصفون كيف كانت سيارات الجيب التابعة للهاجاناه والمزودة بمكبرات الصوت ــ والتي جرى استخدامها فى كل هجوم على المراكز العــربية تقـــريبا ــ مجهــزة بمواد تم تحضــيرها ببراعة فائقة ولأغراض معينة .

فالكاتب الاسرائيلى (كوستلر) يقول أنه وسط انفجــارات قنابل البراميل ، وعندما انتشر الرعب مجتاحا لكل الاحيـــاء العربية ، أحضر اليهود سيارات الجيب المزودة بمكبرات الصوت كى تذيع تسجيلات لاصوات الصراخ والرعب ، تلك التســجيلات التى كانت تتضمن الصرخات والعويل والأنين المكروب لنســاء عربيات تصاحبها أصوات صفارات الانذار ورنين أجراس سيارات الاطفاء ، حيث يقاطعها صوت صادر من أعماق القبور ينــادى بالعربية ، يقول: « أيها العرب انجوا بأرواحكم ، اهربوا وانقذوا أنفسكم ، اليهود يستعملون الغــاز السام والاسلحة الذرية ، اسرعوا بالفرار ، ناجين بأنفسكم » .

ويكتب الكاتب اليهودى (هارى لفين) ما سمعه بنفســه من مكبرات الصوت اليهودية المجهزة بها عربات الجيب ، قائلا :

« انفجر مكبر للصوت على مقربة من المكان ليصيح باللغــة العربية : ان الهاجاناه تذيع على العرب وتحثهم على مغادرة المنطقة قبل الساعة الخامسة والربع عند الفجر ، أشفقوا على نسائكم وأطفالكم واخرجوا من حمام الدم هذا . . اخــرجوا عن طريق (أريحا) الذى لا زال مفتوحا أمامكم ، فلو بقيتم لحلت الكوارث بكم » .

أما المؤرخ البريطانى (ادجار اوبلانس) فيكتب : (١)

وبصراحة فظة ، جرى طرد السكان العرب وارغامهم على الهرب الى الدول المجاورة ، كما حدث فى (اللد والرملة) وأماكن متعددة أخرى ، فحيثما تقدمت القوات الاسرائيلية فى المناطق العربية ، كان يتم جرف (طرد) السكان العرب من أمامها .

وفى ١١ يولية ١٩٤٨ ، قاد « موشيه ديان » طابورا من قوات الكوماندوز المحمولين على سيارات الجيب الى مدينة (اللد) وسط لعلعة النيران المدمرة والتى كانوا يطلقونها على العرب ، وكانت جثث العرب من الرجال والنساء ، وحتى الاطفال منتشرة فوق الشوارع فى أعقاب هذه الحملة المروعة التى لم تعرف الرحمة(٢) ثم جاء الاستيلاء على مدينة (الرملة) المجاورة لمدينة (اللد) فى اليوم التالى ، فقاموا بجمع كل الرجال من العرب القادرين على حمل السلاح واحتجزوهم داخل حظائر خاصة . ثم راحت مكبرات الصوت الاسرائيلية تطوف بالمدنيين لتعلن أنه لن يتم تزويد العرب بالطعام أو الماء ، وانه أمام العرب ٤٨ ساعة فقط للخروج الى شرق الاردن ، وبدأت القوات اليهودية على الفور فى نهب المدينتين العربيتين وسلبهما (٣) .

---

(1) Edgar O' ballance

The arab - israeli war 1948 - 1956 . new york praeger 1957

(2) kenneth billy new star in the near east new york 1950 P. 43

(3) kimche and kimche both sides of the hill P. 228

وعندما جرى تجريد النازحين العرب بصورة منظمة من كافة أمتعتهم وممتلكاتهم قبل ارسالهم فى رحلتهم الجماعية الى خارج بلادهم ، فقد كان عليهم أن يتركوا وراءهم كل شىء . الارض والامتعة والثياب .

وحين بدأت الطوابير الطويلة من العرب مسيرتها البائسة ، اطلقت القوات الاسرائيلية النار فوق رؤوسهم ، أو كما يعبر عن ذلك (ادجار أوبلانس) ساخرا : « لقد فتحت القوات اليهودية بعض نيرانها على العرب لمساعدتهم وارشادهم الى طريقهم خارج وطنهم ، فالحرارة التى بلغت ٥٠ درجة اتحدت مع حرمان تلك الطوابير من الماء والطعام طيلة أيام ثلاثة وحتى الذين تبقى معهم شىء من الطعام أخذه منهم اليهود لدى عبور الجسر ، كما حلقت الطائرات الاسرائيلية المغيرة لتنشر أزيزها فوق الصفوف الطويلة من النازحين المطرودين وهم يجتازون التلال مجهدين ، ومات أطفال لا يحصى عددهم بسبب العطش وحده (١) ، وهكذا وصل معظم النازحين فى نهاية المسيرة الى تلال اليهودية والى وادى الاردن أو مرتفعات شرقى الاردن ، حيث ما زالوا يقيمون منذ ذلك الحين وحتى اليوم » .

كما كان أحد الاساليب التى أصبحت مألوفة بصورة متزايدة تتمثل فى الاغارات الليلية على القرى العربية ، حيث كان رجال (الهاجاناه) يعمدون بهدوء الى وضع عبوات متفجرة حول البيوت الحجرية ، ويصبون البترول على الاطارات الخشبية للنوافذ والابواب ، ثم يشعلون النار ، فينسفون ويحرقون السكان العرب النائمين حتى الموت (٢) .

---

(1) sir john glubb asoldier with arabs london 1957 P. I62

(2) Major R. D. wilson cordon and search - new york, 1952

كما تعددت حوادث الهجمات اليهودية (التغلغل فى العمق) ضد القرى العربية الهادئة المسالمة ، وذلك بهدف التأثير فى نفوس القرويين العرب والاثبات لهم أن (ذراع الهاجاناه الطويلة) يمكنها الوصول الى أبعد المناطق العربية وضربها (١) .

لقد أصدر قائد عمليات (الهاجاناه) بتعليماته ــ كما يقول الكولونيل لورش ــ فى نهاية عام ١٩٤٧ وجاء فيها :

« ان الحل الاوحد هو أن نأخذ بزمام المبادرة فى أيدينا ، ونحاول تحقيق القرار العسكرى بالانتقال الى الهجوم بعنف على كل منطقة تخليها القوات البريطانية » تلى ذلك اصدار (دافيد بن جوريون) أوامره بالهجوم فى كافة أنحاء فلسطين وخارجها (حيثما يوجد العدو) ، وهكذا بدأت القوات اليهودية المسلحة تنفيذ الخطة (دالت) .

واننا فى هذا المجال نستشهد ــ للرد على ادعاءات الاسرائيليين بأن العرب تركوا بلادهم طواغية ــ نستشهد بما كتبه الوسيط الدولى السويدى (الكونت فولك برنادوت) الذى أورد فى تقريره الذى نشره قبل أن يغتاله اليهود بقليل :

« أن نزوح عرب فلسطين انما تم نتيجة للرعب الذى خلقه القتال الدائر فى مناطقهم ، والشائعات التى نقلها اليهم اليهود عن أعمال الارهاب الحقيقية أو بفعل الطرد بالقوة المسلحة . . ان كل السكان العرب تقريبا هربوا أو طردوا من بلدهم تحت الضغط اليهودى . .

---

(1) David ben gurion, rebirth and destiny of israel P. 39

بل ان رئيس حركة (هعولام هازيه) « اورى أفنيرى » وعضو الكنيست الاسرائيلى ، والذى اشـــترك فى حـــرب ١٩٤٨ يكتب : « ان القاعدة العـــامة التى اتبعتهـــا القيـــادة الاسرائيلية خـــلال حرب ١٩٤٨ هو دفع العـــــرب على اخلاء مدنهم وقراهم ، وانى اعتقد ان اجلاء المدنيين العرب أصبح هدفا للحرب ، فى المرحـــلة الثالثة والاخيرة منها » .

الباب الثالث

بين الصهيونية والعنصرية

ان الصهيونية تعتمد فى بقائها وتخطيطها على أسس عنصرية تقوم على الانغلاق والتفوق العنصرى والتمييز ، فقد بدأت الحركة الصهيونية دعوتها — كما سلف القول — فى القرن التاسع عشر على أساس عنصرى بحت متستر خلف الدين تضع وراءه أطماعها واهدافها القريبة والبعيدة على السواء . وكان الدافع الى هذا الانغلاق العنصرى اليهودى — ولايزال — يستند الى اعتقاد اليهود بأنهم عنصر متفوق ، فهم شعب الله المختار ، وكل من عداهم من البشر أدنى منهم درجات واننا نستشهد على ذلك بما كتبه الفيلسوف اليهودى (فيلون) فى القرن الأول الميلادى :

« ان الشعب اليهودى هو الشعب الوحيد — بل الأوحد — الذى ينبغى أن ينعم بكل الخيرات ، انه هو شعب الله الذى سيختبره الله اجيالا عديدة يعانى فيها آلاما شاقة ، وهنا ينعم الله عليه بنعمه الجزيلة ، وعلامة رضاه تكون حينما يتم لهذا الشعب التجمع على ارض واحدة ارضا مقدسة » .

ان تكريس اليهودية على هذا الأساس من التمييز العنصرى ، انما يدفع الصهاينة الى القول بأن اليهودية تمثل دينا وقومية على السواء ، هذا الاتجاه الذى يعتبر ازدواجا من الولاء ، فاليهودى الذى يعيش فى اية دولة فى العالم يعتبر أو ينبغى عليه أن يعتبر اسرائيل هى وطنه الأم ، معتبرا ان حكومتها هى الحكومة التى

تمثله . وعليه ، فانه يدين لهــا بالولاء ويدفع لهــا الضرائب ، ويقدم لها المعونات والهبات ، وبذلك فان مشكلة الولاء المزدوج هذه تصم اليهود بالخيانة للدولة التى نشأوا فيها ويعيشون على أرضها ، لأنهم ــ بمفهوم الصــهيونية ــ يعطون ولاءهم الكامل لدولة ليست هى وطنهم الحقيقى » .

وفى هذا يصرح عضو المجلس اليهودى الأمريكى « موشيه مينوحيم » ، فى مؤتمر صحفى بالولايات المتحدة :

« ان المجلس الأمريكى لليهودية يؤيد الحقيقة القائلة بأننــا هنا فى الولايات المتحدة الامريكية لا نستطيع أن نكون الا يهــودا فحسب على اساس ديننا ، لا على أساس قوميتنا ، ونحن نعتقد ان اسرائيل والقومية اليهودية لا تستطيعان أن تقوما مقام قوميتنا الأمريكية ، اننا نعتبر أنفسنا أمريكيين ذوى دين يهــودى ، انه يجب على اليهودى هنا ــ فى أمريكا ــ وفى كل مكان ان يغــدو مواطنا كاملا تابعا للدولة التى يعيش فيها ، وعندما تتخذ صفة (اليهودية) عند يهودى معين معنى (القومية اليهودية) ، فعليه أن يحزم أمتعتــه ويذهب الى اسرائيل ، أما القــــول بأنه على اليهود أن يلتزموا بولاءين ، أحدهما لأمريكا والآخر لاسرائيل ، فان ذلك يعد تخريبا ونكرانا للجميل وخيانة » .

النــازية الهتلرية :

ان اعتقـــاد اليهود بتفوقهم على شعوب العالم ، لانهم يهود فحسب ، ليقفز بذاكرتنا على الفور الى نظرية اســتناد النازية كحركة سياسية على أساس عنصرى يتمثــل فى التفوق القومى للجنس الآرى على غيره من الأجناس وتمييزا لهذا الجنس على ما عــداه من أجناس الأرض ، لقــد أرجعت النــازية كل القيم الانسانية والدولية الى أصل عنصرى ، وأذكت فى الشعب الألمانى عصبية الجنس الآرى فى الثلاثينيات من هــذا القرن أيام حكم

« أدولف هتلر » ، وأخذت تمجد له خصائصه وصفاته الموروثة ، لتدفعه الى الاعتقاد بأهمية تفوق هــذا العنصر الآرى على غيره من العناصر ، مما يؤهله للسيادة عليها .

ولقد سعت النازية ــ فى سبيل الوصول الى هدفها ــ الى ممارسة كل ألوان التمييز العنصرى ، وسعت بكل الجهد والطاقة على هذا الأساس لتوسيع رقعة الأرض التى تحتلها ثم سارت ــ كحركة عنصرية ــ مسار غيرها من الحركات العنصرية ، نادت بالتفوق العنصرى وما يتبعه من تمييز عنصرى ضد كل الأجناس غير الألمانية ، وضد اليهود بالذات ، فنشأت فى المانيا الحــركة المعادية للسامية ، حيث اعتبرت النازية أن السامية تمثل أحط الأجنــاس ، وتبع ذلك محاولة للانغــلاق العنصرى المستند الى ضرورة تنقية الدم الألمانى وتخليصه من كل ما علق به من شوائب وعوارض بفعل اختلاطه بأجناس أخرى على مر العصور .

وكما عمدت اسرائيل الى تهويد فلسطين العربية ، فقد لجأت النازية الى سلوك أسلوبين (لجرمنة) دول أوروبا التى قامت باحتلالها فى مطلع الحرب العالمية الثانية ، فوجــدناها تميز بين سكان المناطق التى يقطنها جرمانيون أنقياء p.re ، خارج حدود المانيا ، وبين المناطق الأخرى التى كان يسكنها غير الجرمانيين .

فالمناطق الأولى ، قررت النازية معاملتها كما لو كان سكانها المانا أصليين ، ولهذا قرر هتلر فور احتلالها ضمها للرايخ ، على أن يتمتع سكانها بكافة حقوق الألمان ، وواجباتهم كالنمسا ومنطقة السوديت التشيكية .

أما بالنسبة للمناطق الثانية ، فقد قرر (هتلر) جرمنتها على مراحل تمهيدا لضمها الى المانيا بعد ذلك ، متبعا فى ذلك أبشع الوسائل بالنسبة لسكان تلك الأقاليم المحتلة التى اعتبر سكانها من جنس منحط كبولندة وروسيا ، وكانت اهم تلك الوســـائل

تتمثل فى التهجير والابادة والتعقيم بقصد القضاء على تلك الأجناس ما أمكن تمهيدا لضمها الى الرايخ الالمانى .

وهــذا هو ما تفعله اسرائيل :

أننا لا نعادى السامية ، ولم نهاجمها فى يوم من الأيام عبر تاريخنا الممتد منذ آلاف السنين فى منطقتنا العربية — لأننا نحن العرب أيضا ساميون أو **كما عبر عن ذلك الرئيس المصرى محمد أنور السادات فى حديثه بنادى الصحافة القومى بواشنطن فى ٢٧ اكتوبر ١٩٧٥ خلال زيارته للولايات المتحدة الأمريكية ، بقوله :**

« لا يمكن اتهامنا بأننــا معادون للسامية ، لأننــــا أيضا ساميون ، وسأقول لكم أمرا ، ان اليهــود كانوا يعيشون معنا على قدم المساواة ، ولم نشك من ذلك ، ولكن ظهور الصهيونية أدى الى تغيير كل شىء ، اننا لا نعـرف الاضطهاد العنصرى فى بلادنا ، وكنا نتصرف دائما كآدميين وكبشر ، لأن القرآن قد نص على أن نؤمن بموسى واسحق والأنبياء كافة » .

على الرغم من هذا ، الا أننــا — نحن العــرب — نقــاوم العنصرية والتفرقة بسبب العقيدة أو الدين أو الزعم بالتفــوق العرقى لجنس من الأجناس .

ثم ان اليهود ، بعد أن قاموا باحتلال فلسطين العربية ، بدأوا يمارسون ألوانا من التفرقة العنصرية والارهاب ، تلك الألوان التى عانوا منها هم من قبل فى ألمانيا ابان حكم هتلر ، وهكــذا صبوا كافة المظــالم التى وقعت عليهم فى شتى البلدان على راس الفلسطينيين العــرب الذين لم يكونوا بالتأكيد هم ســـبب تلك الاضطهادات التى وقعت لليهود .

ان غرور الصهيونية وعقدة التفوق المزعوم تبدو لنا من خلال العديد من تصرفات وأقوال وكتابات الصهيونيين .

يكتب أحد قادة الفكر الصهيوني البارزين (أحاد هاعام — آشر جينزبرج) في كتابه (اعادة تقييم القيمة Trans vo[uation of value) قائلا :

« سيسود شعبنا اليهودي كل الشعوب الأخرى ، ان اسرائيل هذه هي الأمة العليا التي تملك القدرة على التوسع ، وان تسود العالم دون النظر بعين الاعتبار الى ما يمكن أن يكلف هذا الشعوب الأخرى ، الشعوب الأقل قيمة ، لأن الأمة المختارة وحدها هي زهرة البشرية وذروتها ، وما خلقت الأمم الأخرى جميعا الا لتخدم هذه النخبة » .

ان (برستا ستيو فورد) تكتب عن هذا قائلة (1) :

« أنه من الغريب أن الشعب اليهودي الذي يعاني المعاناة الأكبر من نظريات هتلر العنصرية ، يطرح هو ذاته الآن ، لتأسيس الصهيونية ، نظرية مماثلة لنظريات هتلر ، فالشعب الذي يؤمن بالعقيدة اليهودية هو مزيج من عروق كثيرة ، ولا يمثل خط الدم الأصلي السامي المنحدر من فلسطين الا واحدا من خطوط كثيرة ، ولذلك فانه من الحمق الحديث عن دعوة اليهود الى فلسطين ، وهم الذين يحملون الآن الكثير جدا من الصفات الوراثية غير الفلسطينيين ، ولا يبدون أبدا — وهم في فلسطين — كما لو كانوا يعيشون في ديارهم ، وان المرء لا يملك الا أن يعجب لأولئك الذين يلعنون النظرية النازية بصوت عال ، بينما يدعمون في الوقت نفسه عنصرية لم ير العالم لها مثيلا قط » .

---

(1) وكانت تشغل منصب مديرة فندق (اميركان كولوني) والمستشفى الامريكي بالقدس .

وتبدو لنا النظرية المتعالية للصهيونية كذلك ، فيما كتبه العديد من الكتاب الصهاينة منذ بدء ظهور الحركة الصهيونية الحديثة فى أواخر القرن الماضى .

ففى المؤتمر الصهيونى الأول (مدينة بال ١٨٩٨) يكتب البروفيسور « ماكس ماندلشتام » ـ الأستاذ فى جامعة كييف ـ فى صحيفة Le temps ٢ سبتمبر ١٨٩٨ :

« اننا نحن اليهود ، لسنا جماعة دينية فحسب ، بل أمة مغلقة . ان اليهود يرفضون بكل طاقتهم أن يذوبوا فى القوميات الأخرى ، اننا ـ نحن اليهود ـ نتمسك بأمنياتنا التاريخية » .

اما الكاتب الصهيونى « برنارد كوهين » فيكتب فى مجلة (المسائل اليهودية المعاصرة) « اننا معشر اليهود لا نستطيع ابدا ـ بحكم أصلنا ، وبحكم تلك الهوة السحيقة السكانية والفكرية والثقافية ، التى تفصلنا عن كل الشعوب الأخرى ، أن ننتمى الى قومية أخرى وقد اصبحنا شعبا نتيجة لانغلاق أصلنا اليهودى ونوعيته الخاصة ونزعته الاستئثارية ، وسنظل كذلك ـ اننا نحن المختارون ـ من حقنا أن نطالب بتبجيل خاص ، اننا لا نريد ولا يجب علينا أن نكون مساوين لغيرنا فى الحقوق بل يجب أن نتمتع بامتيازات تخصنا بها شعوبنا المضيفة » .

كما يكتب اليهودى البريطانى « لوسيان وولف » فى مجلة « بول مول » :

« اننى أصر على أن من واجب اليهود أن يكونوا يهودا قبل أن يكونوا بريطانيين ، وأنه لمن الحمق أن يرفع اليهود الانجليز الشعور القومى الانجليزى فوق تبعيتهم للقومية اليهودية » .

دين وليست قومية :

ويجمل الدكتور (فارنتز شايدل) رأيه فى الصهيونية ، فيكتب :

« لقد انهارت بالمغامرات القومية ، مجموعات بشرية أكبر وأحكم بنيانا وأشد بأسا من هذا الخليط المتنافر من اليهود الذين حشرتهم الصهيونية فى اسرائيل .

« ان اليهودية دين وما هى بالقومية ، كما أن لها مهمة دينية فحسب وليست قومية على الاطلاق ، وفى وسع اليهود أن يتطلعوا الى حياة أفضل عن طريق نيل احترام غير اليهود ، ولكن طموحهم لا ينبغى أن يتعدى ذلك ، ذلك لأن البشرية بأسرها يمكنها أن تتفهم فكرة روحية أو دينا ، أما خطط الصهيونية وأهدافها التوسعية ، فهى تسير فى طريق منحرف ..

« ان وضع اليهود القومى نفسه ، وهو ذلك الوضع الذى يتمثل فى الأمة اليهودية ، يعتبر وضعا صادرا عن خيال لا يمت للواقع بصلة ، ولسوف يكون النجاح الوحيد الذى ستحرزه فى هذا السبيل– عن طريقأولئك الصهاينة المصابون بهذه العقدة – هو مواجهة حياة لا بهجة فيها ولا سلام ، حياة مضنية حافلة بالقلاقل والاضطرابات والمتاعب ، والضحايا .

« ان أهداف الصهيونية القومية تضع اليهودية فى تناقض قومى خفى مع سائر الامم كما تفرض على الصهاينة حياة مفعمة بهموم دائمة ، لا داعى لها ، وتضحيات لا تنتهى ، وترغمهم على هذه الحياة ، لا لهدف سوى اشباع طموح حفنة من الصهاينة

وتعطشهم للســــلطة وغرورهم ، اذ ان هــؤلاء هم المستفيدون الوحيدون من قيام الـدولة الاسرائيلية القومية القــــائمة على العنصرية ، على حساب مجموع يهود العالم أجمع .

« ان كل يهودى يريد الاقامة فى فلسطين لأسباب دينية او أسباب أخرى يستطيع اليوم أن يعيش هناك دون دولة يهودية قائمة على العنصرية ، ولا يحتاج زعماء الصهيونية اليوم الا الى أن يفتحوا سجل تاريخ البشرية ويتتبعوا المصائر التى لاقتها — دون استثناء — كل الأمم التى قامت على اساس عنصرى دينى مشابه ، بعد أنكانت قد بلغت درجة من التقدم ذات بريق خلاب، من يكن لليهـــود نية مخلصة ، فانه لا يستطيع أن يتمنى لهم الا التغلب على هذه النزعة العنصرية والعودة الى حالة الصواب والتعقل والاقتصار على المهام الدينية دون التسلط السياسى على الشعوب الأخرى » .

وفى مؤلف ، عن التمييز العنصرى الاسرائيلى (١) ، يكتب د . « فرانتز شايدل » :

« تصور أجهزة الاعلام اسرائيل فى الولايات المتحدة على أنها دولة ديموقراطية على الطراز الغـــربى ، وانه لمن الأمور غير المعروفة بصورة عامة فى أمريكا — أن لدى اسرائيـــل مختلف القوانين القائمة على الطغيان والتفرقة العنصرية ، تشــبه كل الشبه قوانين النازية فى المانيا الهتلرية ، الا أن لها هنـــا معنى

---

(1) Was der nationalismus aus juder machte, war der phil et . dr rer pol . frany j - scheidl .

معكوسا ، ولم يوجـد فى الحقيقـة ـ حتى الآن ـ ابدا دولة اقيمت بمثل هذه الوقاحة على اسطورة عنصرية .

واننى أوافق تماما على ما صرح به الجنرال «بنيكة» كبير مراقبى الأمم المتحـدة فى فلسطين عقب اكتشـافه لحقيقـة الأساليب الاسرائيلية « لقد كنت شديد الميل الى جانب اليهود حين قدمت الى فلسطين ، ولكنى حصلت فيما بعد على صورة صحيحة عن وضع هذه الدولة ، لقد كان من الأفضـل لليهود ان يبحثوا لهم عن بلد آخر غير فلسطين » .

التطبيق العملى للعنصرية داخل اسرائيل

واذا ما انتقلنا الى داخل اسرائيل ، فاننا نجد أن السلطات الصهيونية هناك تمارس تطبيق التفــرقة العنصرية على أوسع نطاق بالنسبة لسكانها ، حين تقسمهم الى فئات ثلاث :

اولا : اليهود الغربيون (الاشكنازيم) : وهم يهود الدول العربية ودول شمال أفريقية .

ثانيا : اليهود الشرقيون (الســفاراديم) : وهم يهــود أوروبا الغربية وأمريكا ودول شرق أوروبا .

ثالثا : عرب فلسطين .

فبالنسبة للتفــرقة بين اليهــود انفسهم ، تقسمهم سلطات اسرائيل الى فئة (أ) وهى اليهود الوافدين من الدول الغــربية أو (البيض) ، كما يطلق عليهم فى بعض الأحيان ، ويمثلون نحو ٤٠٪ من مجموع اليهود داخل اسرائيل ، ويعتبرون مواطنين من الدرجة الأولى ، يعيشون فى يسر نسبى بالمدن الكبيرة أو المناطق الزراعية الخصبة ، كما يتبوأون معظم المناصب القيادية الهامة فى الدولة ويعهد اليهم بالمهام الرفيعة كما يمثلون أغلبية ساحقة فى مناصب الوزارة أو الكنيست .. الخ .

أما اليهود الشرقيين والذين يمثلون نحــو ٦٠٪ من مجموع اليهود أو (السمر) كما يطلق عليهم أحيانا ، فيعتبرون مواطنين من الفئة (ب) ، حيث لا يحظون الا بالقليل من المناصب ويعهد اليهم بالأعمال غير ذات القيمة .

وقـــد أظهرت بعض الاحصاءات الرسمية التى نشرتها مجلة (جويش أوبزرفر) البريطانية فى عدد ٢٧ أغسطس ١٩٦٥ الفرق الشاسع بين احوال الســـكان اليهود من غربيين وشرقيين ، اذ تبين أن نحـــو ٥٠٪ من العمال الشرقيين يعهـــد اليهم بالأعمال البسيطة ، كما أن ٢٥٪ منهم يعيشون بمعدل ٤ أشخاص أو أكثر فى الغرفة الواحدة ، مقابل ٣٪ فقط من اليهود الغـــربيين الذين يعيشون فى مثل هذه الظروف ، وقد علق مدير دائرة الاحصاءات المركزية الاسرائيلية على الفرق فى المعاملة بين اليهود الشرقيين والغـــربيين بقـــوله بأنه على الرغم من كل شىء فان الفـــوارق الاجتماعية بينهم تزداد باستمرار .

اما رئيس الحكومة الاسرائيلية الأســـبق (ليفى اشكول) فيصرح فى بيان رسمى نشرته صحيفة نيويورك تايمز فى ٢٩ يناير ١٩٦٥ : « ان التمييز فى المعـــاملة بين هاتين الفئتين من اليهود يمثل احدى المشـــاكل الرئيسية فى اسرائيل ، وقال أن الفوارق الاجتماعية والثقـــافية والاقتصادية بين السفاراديم والاشكنازيم تشكل خطرا حقيقيا على الوجود الاسرائيلى لا يقـــل عن الخطر الذى تواجهه اسرائيل من جانب الدول العربية المحيطة بها » .

ومن أمثلة هذه التفرقة الواضـــحة ، انه لا يوجـــد يهودى شرقى واحد يشغل منصبا رئيسيا فى دوائر الهجـــرة والاسكان والعيادات الطبية والمدارس ، كما يلاحظ هذا التمييز العنصرى بشكل أكثر وضوحا فى الجيش والحكومة ، ففى قيـــادة الجيش الاسرائيلى لا يوجـــد واحـــد من اليهود الشرقيين ، حيث جميع القادة من اليهود الغربيين . كما أن اليهود الشرقيين لا يمثلون بأكثر من وزير واحـــد أو وزيرين فى الحـــكومة الاسرائيلية التى تتألف عادة من ١٥ وزيرا ، ويمتد هـــذا التمييز الى الـــدوائر والوكالات اليهودية والهستدروت والأحزاب السياسية والاذاعة

الاسرائيلية ، حيث ينال اليهود الغربيون حظا أوفر من كل شيء . ولقد أدى هذا الوضع الى أن يعيش الغربيون واثقين بأنفسهم بينما يعيش الشرقيون وسط مركب نقص قاتل ، حيث يشعرون على الدوام بالفرق بين معيشتهم ومعيشة الغربيين ، وبالتالى يقوى لديهم الشعور بأنهم منبوذون ، ولقد تفجر هذا الشعور على صورة عصيان مسلح لأول مرة فى صيف عام ١٩٥٩ عندما قتلت الشرطة أحد اليهود المغاربة فى حى وادى الصليب بمدينة (حيفا) بينما كان يحاول تخليص نفسه منهم ، لتتوالى هذه الانفجارات بعد ذلك بمعدلات متزايدة .

والى جانب التمييز العنصرى ، يتميز المجتمع الاسرائيلى بالتعصب الدينى الذى يشطره أيضا الى شطرين رئيسيين ، أولهما يشمل اليهود المتعصبين (المتدينين) ويمثلون ٢٠٪ من السكان اليهود ، وثانيهما يشمل اليهود غير المتدينين ، أو الذين لا يتقيدون بالدين ويمثلون النسبة الباقية ٨٠ ٪ ، وقد تمكنت الأقلية المتدينة — حتى الآن — وهى التى تريد اسرائيل دولة تطبق فيها الشرائع الموسوية على جميع السكان دون استثناء من أن تفرض نفسها على الأكثرية غير المتدينة .

كيف يعيش العرب كمواطنين من الدرجة الثالثة فى اسرائيل ؟

أما الفئة (ج) من سكان اسرائيل ـ وهى تمثل العـــرب الذين بقوا فى وطنهم الأصلى ـ فلسطين ـ عقب قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ ، ورفضـــوا أو لم يخضــــعوا لأساليب الارهـــاب والتخويف ، والطرد ، فان السلطات الاسرائيلية تعاملهم معاملة شاذة قل أن يوجد لها مثيل فى دولة من دول العالم أجمع . ان « د . موفاد » يعبر عن وضع هـــذه الفئة من العـــرب الذين يعيشون فى اسرائيل بقوله :

« يقوم اليهود بشكل سافر بالتخلص من بقايا العـــــرب فى فلسطين المحتلة ، فممتلكات العرب من الأراضى تغتصب ، ويحتجز العرب فى قراهم ، ويحرمون من أية حرية فى الاقامة ، كما لا يتورع اليهود عن ممارســـة أى نوع من أنواع المضـــايقة لهم واساءة معاملتهم ، كأن يعرضونهم للبطالة والموت جـــوعا ، وتجـــرى ممارسـة عمليات الضرب والاغتصاب لحقوقهم ، كما يجرى انتهاك حرمة أماكنهم المقدسة وتدمير منازلهم وقراهم ونسفها ، ويقتل السكان العرب أو يطردون أو يزج بهم داخل السجون » .

كما يقول « جيرالد سبارو » فى كتابه (ابو الهول يستيقظ) :

« فى خرق صارخ للمبادىء الأولية لحقوق الانسان ، واللوائح الخاصة الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة ، تجرى ممارسة التفرقة العنصرية فى اسرائيل بحق العرب الذين بقوا فى البلاد بعد طرد الأغلبية الساحقة منهم فى عامى ٤٧ ، ١٩٤٨ » .

ان السلطات الاسرائيلية تعتبر العرب فى فلسطين مواطنين من الدرجة الثالثة ، أولئك العرب الذين يتركزون فى ثلاث مناطق: هى : الجليل فى الشمال ، والمثلث فى الوسط ، والنقب فى الجنوب ،

وعليه فهى تعاملهم على هذا الأساس ، وتخضعهم لمختلف أنواع التمييز السياسى والاقتصادى والثقافى . ولعل من أبرز أنواع التمييز ضد العرب ، ذلك التمييز العنصرى الذى يتخذ صورا متعددة ومظاهر تتصل بمعظم الجوانب التى يحياها أهل البلاد الأصليين المغلوبين على أمرهم ، فاليهودى الشرقى والغربى يجتمعان معا — على الرغم من وجود تمييز عنصرى بينهما — فى تمييز العربى عنهما ، الذى هو فى الأصل صاحب الأرض وصاحب الحق الشرعى فى بلاده وأرضه .

ولقد اعتادت اسرائيل تبرير كل ما تمارسه من تعسف ازاء العرب فى فلسطين ، بحجة الأمن والدفاع وتصويرهم على انهم (طابور خامس) ، كما أن السياسة الاسرائيلية تسعى جاهدة للوقيعة بين العرب عن طريق تقسيمهم الى فئات متعددة لتضمن بذلك عدم تضامنهم أو وحدة كلمتهم ، مستغلة الدين فى سبيل ذلك ، فهى تفرق بين الأديان والطوائف وتجعل لكل طائفة نظمها وعاداتها وتقاليدها ، وتحاول محو روح التسامح والمحبة فيما بينها ، كما تقوم السلطات الاسرائيلية — من خلال مختلف القوانين التى سنتها بالتنكيل بالعرب — كنظام الاحكام العسكرية الذى نقلت معظم قوانينه عن أحكام الطوارىء والدفاع والمتخلفة عن سلطات الانتداب البريطانى فى فلسطين (١٩٢٢ — ١٩٤٨) .

وقد قامت اسرائيل بوضع عرب فلسطين تحت الحكم العسكرى منذ قيامها وفرض هذا الحكم على المناطق التى يسكنها العرب فحسب ، ذلك الحكم البعيد عن أبسط مفاهيم العدالة والحرية

والفردية ، اذ انه يجــرد المواطن العربى من حقــوقه الأساسية لما اعطى له من صلاحيات مطلقة لا تخضع فى معظم الأحيــان الى الرقابة القضائية .

وبينما يعترف قانون الجنسية الاسرائيلى الصـــادر فى عام ١٩٥٧ بحق المواطنة لكل اليهود بصورة تلقائية ، فان العرب فى وطنهم لا يصبحون مواطنين الا عندما يثبتون اقامتهم الدائمة فى اسرائيل منذ قيــام الدولة ، وبذلك يستبعد معظم الفلسطينيين ، ذلك الأمر الذى تصفه (فريدا أتلى) قائلة : ((وعندما يقوم العربى باثبات ذلك فانه يلزم كذلك بأن يلم باللغــة العبرية ، وأخيرا ، عندما ترى وزارة الداخلية الاسرائيلية انه جـــدير بالمواطنــة الاسرائيلية ، فانها تميزه باعطائه بطاقة شخصية مخالفة لبطاقات اليهود . تلك البطاقة التى تعطى الشرطة الحق فى اخضـــاعه للوائح الاستثنائية الصارمة التى تشمل العرب جميعا . ومنهــا أيضـــا ذلك الخطر الصارم الذى يحرم عليهم السفر خارج مقــر الاقامة ــ ولو الى مسافة بضـــعة كيلو مترات قليلة ــ دون اذن عسكرى خاص ، وخلافا لمصير العرب فى اسرائيل ، فقد بقى يهود مصر البالغ عددهم ٥٠ الفا حتى حــرب السويس ــ ١٩٥٦ ــ دون أية مضـــايقات من السلطات المصرية ، كمـــا لم يكــن هنـــاك أى تشريع عربى يقــوم على التمييز العنصرى ضد اليهود من أى نوع كان ، وحتى بعد عدوان اسرائيل على مصر عام ١٩٥٦ ، امتنعت مصر عن اتخاذ أى اجراء من اجراءات الاضطهاد مهما كان نوعه ضد المواطنين اليهود المصريين الذين لم يحتجزوا فى معسكرات اعتقال كما احتجزت أمريكا كل مواطنيها ذوى الأصل اليابانى بعد حادث ((بيرل هاربور)) ، وفى مصر لم يحدث ايضا شىء يمكن مقارنته بمصادرة الولايات المتحــدة وانجلترا وفرنسا للممتلكات الالمــانية واليابانية خلال الحرب العالمية الثانية ، وعلى الرغم من ذلك كله ، تتهم مصر فى الصحافة الغربية والأمريكية باضطهاد مواطنيها اليهود

وملاحقتهم(١) ، بينما توصف اسرائيل بأنها الدولة الفتية الشجاعة التى دافعت عن بلادها وحققت حتى (لمواطنيها) العرب الديمقراطية والتقدم الحضارى .

تستطرد « فريدا أتلى » قائلة :

« لقد اخرج القسم الأكبر من العرب من مستوطناتهم وقراهم ، وتم حشدهم فى مناطق تخضع للقانون العسكرى (الجليل — النقب — المثلث) حيث يرغم ١٤٥ ألفا من العرب على العيش هناك ، ويتمتع الجيش الاسرائيلى فى هذه المناطق بحق نفى العرب ومصادره املاكهم واخراج سكان قرى بأكملها من مساكنهم ، وتقديم كل عربى الى محكمة عسكرية ، ان الحقوق المدنية للعرب فى اسرائيل مجمدة ، وتعتبر قسوة القانون العسكرى الذين يعيشون فى ظله من المظالم الرئيسية التى يشكون منها ، ولما كانوا لا يستطيعون التماس حقهم أمام المحاكم العادية (ضد القانون العسكرى) . فانهم يتعرضون لخطر النفى من قراهم أو القاء القبض عليهم بواسطة المحاكم العسكرية لدى أقل اشتباه بايوائهم للمتسللين ، أو يزج بهم فى السجون ببساطة ، حيث ينظر اليهم على أنهم معكرون لصفو الهدوء » .

أما الدكتور (فرانز شايدل) فيورد فى كتابه « الارهاب الاسرائيلى » صورة لحياة العرب فى اسرائيل ، فيقول :

« يعيش بقايا السكان العرب فى حيفا فى منطقة مهملة تحمل اسم (الجيتو) ، وهى أزقة ضيقة متعرجة ، ومنازل متداعية واناس بائسون كتب الفقر والبؤس على وجوههم ،

---

(١) قامت السلطات المصرية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ مباشرة بتنظيم زيارات للكولونيل الاسرائيلى الاسير « عساف ياجورى » لبعض الاسر اليهودية المصرية ، كذا المعابد اليهودية فى مصر ، ليرى بعينى رأسه كيف ترفض مصر التفرقة العنصرية .

والازقة ملأى بالمياه القذرة ذات الرائحة الكريهة ، وهى مبـــاءة للأمراض الكثيرة ، ويخضع هذا الجيتو العــربى لاشراف مسلح بواسطة السلطات الاسرائيلية ، حيث يحظر مغادرته بصورة دائمة مهما كانت مدة المغادرة ، واقل القليل الذين يجدون عملا يحصلون على أجور اقل بكثير عن العمال اليهود ، ومما يجعل المسألة اشد سوءا هو ان العرب فى اسرائيل لا يتلقون أية مساعدة بينما يضطرون الى دفع الضرائب الباهظة ، وايجار مساكنهم فى مواعيدها بدقة ، وتسكن الأسرة المكونة من ٧ أفراد أو ثمانية فى غرفة واحدة ، وأغلب الأطفال العرب فى هذا (الجيتو) لا يذهبــون الى المدرسة ، وهم يضطرون ــ نتيجة للفقــر المريع ــ الى العمــل مبكرا فى أكثر مراحل العمر .

لقد دفعت أحوال العرب فى اسرائيل صحيفة (كول هعام) الى ان تكتب :

« ان الآلام وألوان العذاب التى تفرضها سلطات اسرائيل على العرب والذين يعيشون فيها يمكن أن تلاحظ بوضـــوح فى قـــرى (عيلبون) والمزرعة والطيرة وابو غوش وأم الفرج ، وليست مثل هذه الفضائح الا جزءا من سلسلة طويلة من الفظائع التى ترمى الى طرد الاقلية العربية من موطنها ، وتحويل مدن اسرائيل الى منافى يعذب فيها العرب » .

اما المطران « فراى البرتو » فيكتب مقالا فى صحيفة (ايكليسيا) البرازيلية[1] فى مارس ١٩٥٦ عن حــالة العــرب المســيحيين فى اسرائيل بعد زيارته لها :

« ان المراقبة الشديدة التى تفرضها حكومات اسرائيــل على

---

(١) محنة المسيحية فى اسرائيل ــ جامعة الدول العربية ــ ادارة فلسطين ١٩٥٧ .

البريد ، من يوم نشأتها الى هذه الساعة ، تمنع المبشرين الذين يعملون هناك من نشر أقوالهم وارسالها الى الخارج بصراحة عن الحالة الحقيقية هنـــاك ، وهـــذه المراقبة غاية فى الصرامة على المبشرين الذين يبغض اليهود مجرد ذكر اسمهم ، وانه حبا للحقيقة ولاخواننا الذين يتكبدون عذابا شديدا هناك ، نقول أن الكنيســـة الكاثوليكية فى اسرائيل تعانى أمر وأسوأ حالاتها ، ويقال رسميا أن هناك تسامحا دينيا فى اسرائيل ، ان هذا كله انما هـــو كذب رسمى تحيك غزله هذه الدولة العنصرية التى تعمد الى الكذب لتكسب مساعدة الدول الكاثوليكية ، ان حوادث استخدام القـــوة كثيرة جدا » .

العرب تحت الحكم العسكرى :

ان الأحكام العسكرية الاسرائيلية التى تطبق على العرب فى اسرائيل ، تتناول بصورة خاصة شئون الرقابة وتحديد حـــرية التنقـــل وحرية الكلام والصحافة فى جميع نواحيهـــا ، الى جانب الاشراف على وسائل النقل وتنظيم استخدام الاسلحة .

كما يجيز هذا النظام العسكرى المطبق على العرب هناك ، للحاكم العسكرى الاسرائيلى أن يغلق بعض المناطق فى وجه السكان العرب ، كما يجيز ترحيلهم من مناطقهم الأصلية الى أماكن اخرى ، أو فرض الاقامة الجبرية فى أماكن نائية عليهم وقد نتج عن ذلك أن تحولت المناطق العربية فى اسرائيل الى سجن كبير يحظر الخروج منه أو الدخول اليه الا بتصريح من الحاكم العسكرى ، ويضاف الى ذلك أن العرب محرومون من حرية الانتقال بين قراهم داخل المنطقة الواحدة ، حيث يقيم الاسرائيليون على مداخل القرى والمدن العربية نقطا عسكرية للتفتيش ، ونظرا لوجود هذه الاراضى خارج القرى والمدن ، وفى مناطق بعيدة ، كثيرا ما يجد العرب صعوبة فى الوصول الى أراضيهم الزراعية . ولأن الحاكم العسكرى والقوانين الجائرة

كثيرا ما تمنعهم من ذلك بحجة مقتضيات الأمن ، فان ذلك يفسح المجال أمام اليهود للاستيلاء على تلك الاراضى .

والى جانب الحكم العسكرى الذى يطبق على العرب فى اسرائيل، يوجد عدد من القوانين الجائرة ضد العرب فى اسرائيل ، فهناك قانون الاراضى المهجورة الذى يجيز للسلطات الاسرائيلية وضع يدها على أى قطعة منها ، وقانون املاك الغائبين الذى يحق بمقتضاه للحارس على هذه الاملاك أن يستولى على ممتلكات أى عربى يتحقق من غيابه ، وقانون ينص على انه اذا لم يتصرف العربى فى أرضه تصرفا فعليا (أى بنفسه) وكانت الحكومة فى حاجة اليها للأغراض العسكرية ، أو لأغراض توطين المهاجرين اليهود الجدد ، فانها تصبح بأمر من وزير المالية — ملكا للدولة ، ويكون قرار الوزير المذكور نهائيا بحيث لا يخضع للطعن فيه أمام المحاكم ، ويعنى هذا أن جميع الاراضى الواقعة فى المناطق العربية التى تطبق فيها هذه القوانين ستؤول بموجبها الى اسرائيل وذلك أما عن طريق مصادرتها بحجة الأمن أو عن طريق منع أصحابها من التنقل بموجب قرار من الحاكم العسكرى ، فلا يتمكن هؤلاء من مباشرة زراعة أراضيهم ، وحيازتها حيازة فعلية ، لتنتقل الى ملكية الدولة بحكم القانون .

وهناك أيضا قانون تقادم الارض الذى وضعته السلطات الاسرائيلية عام ١٩٥٨ والذى يفرض على كل مالك عربى أن يقدم اثباتا لملكية أرضه لمدة عشرين عاما سابقة . قبل ان يتم تسجيلها باسمه ، وقد تبين أن القانون العثمانى الذى كان متبعا فى تسجيل الاراضى قبل اسرائيل ، كان يمنح حق التسجيل لكل من حاز أرضا لمدة عشر سنوات فقط ، وبذلك يجد أصحاب الأراضى العرب صعوبة هائلة فى تقديم الادلة الكافية على أن أراضيهم كانت فى حيازتهم طوال العشرين عاما السابقة مما يؤدى الى رفض السلطات الاسرائيلية تسجيلها باسمائهم وبالتالى تضع يدها عليها .

لقد أجرت مجلة ((الجديد)) الصادرة فى حيفا(1) استفتاء لاكثر من عشرين كاتبا وشاعرا يهوديا فى اسرائيل تحت عنوان :

أولا ــ اذا كنت كاتبا عربيا ــ اسرائيليا :

١ ــ ماذا تكتب عن معاملة السلطات الاسرائيلية للمــواطنين العرب فى اسرائيل ؟

٢ ــ كيف تعرض قضية العرب اللاجئين الفلسطينيين ؟

٣ ــ كيف تنظر الى أعمال القمع فى المناطق المحتلة ؟

ثانيا ــ ما هو موقفك من الاحتلال الأجنبى (الاسرائيلى) ؟

ولم يجب علىهذا الاستفتاء الا خمسة من الكتاب اليهود ، هم: ((حانوخ بارطوف)) ــ روث لفين ــ آهود بن عيزر ــ دان عومر ــ آريه ديكر .

تقول (روث لفين) فى ردها :

((سأرد على السؤالين بجواب واحد : لو كنت عــــربية فى اسرائيل أو فى المناطق المحتلة ، لفعلت ما افعله وأنا اديبة يهودية اسرائيلية . أطالب بالانسحاب من المناطق ، وأطالب بالسلام العادل على أساس الحقوق القومية المشروعة ، واندد بالاضطهاد العنصرى والشوفينية العسكرية لدى الحكام الاسرائيليين ، وأناضل ضــد كل الاعمال الوحشية فى المناطق ، وضد كل الاعمال المعــادية للديمقراطية فى اسرائيل مثل أوامر الاقامة الجبرية والاعتقال وتحديد الاقامة وغيرها .

---

(١) الجديد ــ يناير ١٩٧٠ ــ ص ٣٨

« واننى أعرف انى لو كنت أديبة عربية فى اسرائيل لكان الثمن الذى ادفعه مقابل هذا هو الاعتقال أو الاقامة الجبرية فى منزلى ، بينما لو كنت فى المناطق المحتلة ـ الضفة الغربية أو غزة ـ لكان جزائى هو السجن ، والنفى والتعذيب فى السجون . اننى أعرف وضع الكتاب العرب فى اسرائيل وفى المناطق المحتلة وأشعر بالعار ، لانى أحب أبناء شعبى واخجل من أعمالهم وعدم فهمهم ، ولست أدرى الى أين تؤدى بنا هذه الاعمال . انى أرى مظاهر الظلم كل يوم ، وهكذا يتزايد عارى وحزنى » .

أما (دان عومر) فيرد قائلا :

« ان الاحتلال أمر سيء ، سواء كان مبررا أم غير مبرر ، هناك احتلال يسمونه (أحسن احتلال فى العالم) ولكن ذلك لا يغير من حقيقة الاحتلال . أنه عمل بشع من أعمال القوة ، وهو أبشع من الحرب ـ أن الحرب يمكن تفسيرها ولكن ليس للاحتلال أى تفسير أخلاقى ، فكل احتلال هو اضطهاد ، وكل اضطهاد يجب أن يحارب » .

ونقرأ فى اجابة (آريه ديكر) :

« فى الاحتلال تسرى قوانين حتمية ، والمقاومة هنا تصبح قدر المحتلين ، فلو احتلت بلادى لقاومت الاحتلال ، كل هذا حقى وواجبى فكيف استطيع أن أحرم الغير من هذا الحق ؟ ان المقاومة تؤدى الى الاضطهاد والاضطهاد يزيد المقاومة ، هذه هى الشرعية السارية فى الاحتلال بدون أى اعتبار لرغبتنا ، ولا أرى مخرجا الا الانسحاب من المناطق المحتلة » .

اننا نلاحظ هنا أنه حتى الكتاب اليهود الايجابيون الذين يتعاطفون مع العرب فى اسرائيل ومع العرب فى المناطق المحتلة ، يشرحون اراءهم عن مبدأ التسليم بحق اسرائيل فى غزو فلسطين وينظرون

الى القضية من وجهة نظر واحدة وهى وجهة النظر الانســـانية البحتة .

يعلق الكاتب العربى (اديب سلام) فى رده على اجابات الكتاب اليهود ، وبخاصة على ما جاء فى رد الاسرائيلى (حانوخ بارطوف) الذى جاءت اجابتــه مؤيدة تماما للحــكم العنصرى الاسرائيلى فى فلسطين المحتلة ، فيكتب[1] :

«ان ردى المباشر هو انك ياسيد (بارطوف) تعرف اننا لم نستدع السلطات الاسرائيلية فى عام ١٩٤٨ كى تحكم النـــاصرة وشفا عمرو وعكا (وهى المناطق العربية خارج حدود التقسيم) الخ ، ولكن مع ذلك فنحن نحمل الجنسية الاسرائيلية ونحن هنا مواطنون بحكم انتمائنا الى هذا الوطن ، ومع ذلك نعامل كمواطنين من الدرجة الثالثة ، لقــد صودرت أغلب أراضينا الزراعية وأعطتها الحكومة للكيبوتزات . ولعلك تعلم أن الاراضى العربية المصادرة بلغت حوالى ٥ر١ مليون دونم[2] منذ قيام اسرائيل .

وتعطينا الحكومة الاسرائيلية هويات عليها حرف B وفرضت علينا أحكاما عسكرية دون مبرر . اننى أعتقد اعتقادا لا يتزعزع أن للشعب العربى الفلسطينى حقا ثابتا فى فلسطين ، ومن يقــل بأن البلاد العربية واسعة وان هذا الشعب يجب أن يوطن هناك ويتنازل عن وطنه ، ووطن آبائه ليس الا غبيا ، ويريد التوسع على حساب هذا الشعب وينهب أرضه ويستعمرها ، انه يريد باختصار ان يبنى له كيانا على حساب كيان شعب آخر ، ويتنكر لحقوق هذا الشعب مع سبق الاصرار ، وهذاالكلام يقودنا الى ســؤال بالغ

---

(١) المصدر السابق .
(٢) الدونم يعادل ربع فدان .

الأهمية ، بل هو أساس كل القضية : من هو الشعب العربى الفلسطينى وبالتالى : ما هى حقوقه ؟

« هناك اعتقاد خاطىء بأن العرب وجدوا فى فلسطين منذ ١٣ قرنا ، منذ الفتح الاسلامى لهذه البلاد ، أى ان جذور الشعب العربى الفلسطينى تمتد الى ثلاثة عشر قرنا فقط ، وان اليهود سبقوهم اليها .. وهذا خطأ ..

« ان الفلسطينيين ليسوا أحفاد العرب الفاتحين فحسب ، لأن العرب عندما فتحوا فلسطين لم تكن خالية من السكان ، بل كانت تعيش فيها أقوام عديدة عاشت فيها آلاف السنين . واننا نعرف أنه منذ فجر التاريخ وحتى الفتح العربى لم ينفرد شعب واحد بفلسطين ، بل سكنتها أقوام عديدة فى وقت واحد ، وعندما جاء اليها العبرانيون لم ينفردوا بها وحدهم بل بقى فيها سكانها الأصليون ، وعاشوا مع العبرانيين .

« فلما فتح العرب فلسطين قبل ثلاثة عشر قرنا ونصف ، هاجرت اليها قبائل عربية جديدة واستوطنتها وسكنتها مع أبنائها الأصليين ، لقد كانت فلسطين قبل الفتح العربى موطنا لشعوب وأقوام عديدة ، فأصبحت بعد الفتح العربى الاسلامى موطنا لشعب واحد هو الشعب العربى الفلسطينى .

هذا هو الشعب الفلسطينى ، أنه حصيلة امتزاج العرب بسكان فلسطين القدماء ، لذلك فان جذوره تمتد منذ القدم حتى الآن دون انقطاع ، ان فلسطين هى موطنه الجغرافى والتاريخى والقومى والحضارى ، ومن هنا تنبع حقوقه . انها حقوق تاريخية وسياسية لا يستطيع أن يزاحمه فى أصالتها أى شعب آخر ، ولا يستطيع ان يزعزعها أى ادعاء ، فكيف تطلب من هذا الشعب ان يتنازل عن وطنه وأن يسكن بلادا غيرها وبأى حق تطلب منه ذلك ؟ !

« وعن العداء العربى لاسرائيل .. ماذا تنتظر ، يا سـيد بارطوف ، من شعب طرد من وطنه وحرم من حقوقه فى العيش على أرض بلاده مثل كل شعوب العالم ، وحرم من حقه فى تقرير مصيره ، يرى غيره يسكن فى البيت الذى بناه ، بينما هو يسكن فى مهانة داخل الخيـام الممزقة ؟ ويرى غيره يجنى ثمـار الشـجر الذى غرسـه بيديه ويحـرث أرضـه التى ورثهـا عن آبائه وأجـداده بينما هـو لا يستطيع أن يحصـل على الحـد الأدنى من الغذاء والكساء والدواء ، ثم فوق كل ذلك يجد أن الذى سكن بيته وقطف ثماره وحرث أرضه لا يكتفى بذلك بل ينكر حقوقه ويرفض عـودته ويوجه له كلاما متغطرسا قاسـيا ومتعـاليا ، ويوجه له بين الحين والحين ضربات عسكرية فيها الكثير من التشفى والغطرسة والطمع فى الاستيلاء على المزيد من أراضيه والامعان فى هدم كيانه ، فالعداء اذن هو نتيجة لسبب ، فاذا أزلت السـبب أزلت العداء » .

« وما رأيك يا سيد (بارطوف) فى تصريحات (الضم) التى تصدر عن سياسيين مسئولين فى اسرائيل ، والتى يفهم منها انهم يريدون أن يضموا قطاع غزة وهضبة الجولان واجزاء كبيرة من الضفة الغربية للاردن وسيناء ؟

« لقد أسميتم الاراضى المحتلة « الاراضى المحررة » ، فما رأيك فى هذا الاستفزاز . . ممن حررتموها ؟ . . أمن شعبها ؟ ! . .

ثم هل سمعت ، يا سيد بارطوف ، بمذبحة (كفر قاسم) التى جرت لقرية عربية فى اسرائيل — عشية الهجوم على سيناء عام ١٩٥٦ — هل سمعت عن مقتل ٥٠ عاملا وعاملة من العرب الذين يحملون الجنسية الاسرائيلية دون ذنب جنوه ؟ ، — وهل سمعت قبلها عن ٢٥٠ ضحية فى (دير ياسين) .. هل سمعت بعد حرب ١٩٦٧ عن هدم ثلاث قرى عربيـة كاملة ومحـوها من الوجود فى

وادى النطرون (عمواس ــ يالو ــ بيت نوبة) وتشريد أهلها نساء وأطفالا وشيوخا ورجالا أياما فى العراء ، حتى سقطوا عطشـــا وجوعا ، واضطروا أخيرا أن يعبروا النهر الى الاردن هربا من استبداد حكامكم ؟ .

« أن مهارة الزعامة الاسرائيلية تتركز فى أنها بالرغم من الاعمال التى قامت بها ضد العرب استطاعت أن تلبس ثياب الحمل الذى يهدده الذئب .

« أننى لم أسمع يا سيد (بارطوف) تبريرا أعجب من تبريراتكم للاضطهاد ، وللاحتلال الذى تمارسونه على أراضينا ، أنك تريد أن تعاقب شعبا كاملا لأن (نار الحرب اشتعلت فى عظامهم) ، ولكنك لا تسأل نفسك (لماذا اشتعلت نار الحرب فى عظامهم) أن العالم المتنور اليوم يستنكر معاقبة شعب بكامله والشعب اليهودى بعـــد ما مر عليه من كوارث هو أولى الشعوب باستنكار معاقبة شعب بكامله .

« أن نار الحرب لم تشتعل بعظامنا بقدر ما اشتعلت مطامع اسرائيل التوسعية ولست أدرى بأى حق لا تعتبر نفسك يا سيد (بارطوف) ــ أجنبيا فى المناطق المحتلة . اظن ذلك راجع لمـــا تسمونه (بالحق التاريخى) ، أنا لا اؤمن بهذا الحق التاريخى ، ان الحق التاريخى الحقيقى هو بجانب أهل الاراضى المحتلة لأن جذورهم على أرض وطنهم تمتد كما أوضحت سابقا امتداد التاريخ .. واذا كان العبرانيون القدامى قد سكنوا فلسطين حقبة قصيرة من الزمن، فلقد سكن العرب فى أسبانيا ثمانية قرون كاملة وتركنا هناك حضارة اضاءت الدنيا ، لذلك هل يحق للعرب الآن ان يقولوا ان لهم حقا تاريخيا فى أسبانيا أو غيرها ؟ ويجب عليهم أن يحرروها .

« ثم أخيرا تقول يا سيد (بارطوف) لماذا لا يستنكر الكتاب العرب أعمال المقاومة فى اسرائيل ؟ . . ولكن هل استنكرت انت

القـــاء قنابل النابالم التى القاها الجيش الاسرائيلى على مخيمات اللاجئين فى الاردن ؟ هل استنكرت ضرب المواطنين الآمنين فى (اربد) والقرى الأردنية القريبة من الحـــدود من أطفال ونساء وشيوخ بقنابل النابالم ؟ **وهل استنكرت أخـيرا ضرب مصـــــنع (ابو زعبل) فى مصر والذى راح ضحيته نحو ١٠٠ عامل وأصيب كثيرون ؟ وهل استنكرت قصف طائرات الفانتوم الاسرائيلية لمدرسة الأطفال فى (بحر البقر) حيث قتل الأطفال الأبرياء دون ذنب جنوه ؟!**

« توينبى » : مسئولية الظلم الواقع على العرب :

ونختتم هذا العرض بما قاله المؤرخ البريطانى الراحل فى هذا المجـــال :

« لقد تغاضى العالم ــ حتى الآن ــ عن الظلم الذى ارتكبته الصهيونية بحق عرب فلسطين ، أولئك الذين سلبت ممتلكاتهـم وطردوا من بلادهم بالقـــوة ، وتلك القوة التى أرغمتهم على ذلك كانت مدعمة بقوى واسلحة أخرى خارجية ، وعلى هـــــذا فان مسئولية الظلم اللاحق بعرب فلسطين انما تقع على نطاق واســـع الانتشار وينبغى الآن لكل الأمم والأفراد على حد سواء ، أن يأخذوا على عاتقهم المهمة الملحة فى تفهم طبيعة النزاع القائم فى الشرق الاوسط » .

وزارة الاعلام
هيئة الاستعلامات

مطابع الهيئة العامة للاستعلامات

